التي اعتادت عليها.. ماذا تفعل لتنقذها من هذا المصير.. يجب أن تفعل شيئاً.. يجب!

وعندما توقفت العربة أمام باب منزلها.. وقعت عيناها على « ياسر وجاسر » ومعهما « هشام » وهم يجلسون في الحديقة، كان من الواضح أنهم في انتظارها، وكانت عيونهم تلمع بالفضول والرغبة في معرفة كل ما حدث..

وسارت إليهم بخطى متثاقلة.. وأنبأهم شكلها بأنها لا تحمل أخباراً سارة.. وعندما سقطت جالسة على مقعد بينهم.. لم يفتح واحد منهم فمه بكلمة.. كانوا في انتظار ما ستقوله بدون أن يستحثها أحد..

وأخيراً قالت في صوت باكٍ: المسكينة، إنها مصرة على أنها بريئة.. وعلى أنني كنت السبب في كل ما حدث..

وبتردد شديد سألها « ياسر »: و « عنتر ».. ماذا قالت عنه!

قالت « هند » بيأس شديد: لقد مات.. قالت إنه مات هو وأبوه منذ زمن بعيد، بعيد.. وإنها لم تره منذ زمن بعيد..

وباختصار شديد روت « هند » كل ما حدث.. ثم صمتت.. وران السكون عليهم جميعاً.. أخيراً قال « جاسر »: هل هذا هو خاتمة المطاف؟

لم ترد « هند ».. كانت قد تركت لأفكارها العنان، فسرحت بعيداً.. بينما قال « ياسر » في غضب: لا.. أبداً.. منذ متى كان المغامرون يعرفون اليأس؟!

هشام: وماذا ستفعلون؟

قال « ياسر » وهو يشير إلى شقيقته: سوف نفعل الكثير.. سنعرف الحقيقة، سوف ترى، إذا لم يكن من أجل « أم السعد ».. فمن أجل « هند »، شقيقتنا.. هل نتركها في مثل هذه الحالة النفسية السيئة؟

أفاقت « هند » على كلماته، نظرت إليه بامتنان وقالت: وماذا سنفعل؟

ياسر : قاومي هذا اليأس، تمالكي نفسك، ولنبدأ التفكير مرة أخرى، تفكيراً جاداً سليماً.. وسترين أننا سنصل إلى تحديد ما يجب أن نفعله!

حركت كلماته نشاطها، وحيويتها.. وتحرك « جاسر » أيضاً.. قال: سأعود بأكواب الليمون المنعش.. ثم نعقد جلسة عمل..

ياسر : رأي سديد.. هيا بسرعة.. نحن في انتظارك!

• • •

استطاع الأولاد الثلاثة أن يعيدوا « هند » إلى حالتها الطبيعية.. فبدأ التفكير السليم يعود إليها، وبدأت قدرتها على التخطيط تظهر مرة أخرى..

هند : سوف نحدد القضية التي أمامنا.. ما هو الشيء الجديد الذي توصلنا إليه حتى الآن؟

جاسر: « عنتر ».. ظهور صورة « عنتر »!

ياسر : ولكن أم السعد تقول انه قد مات!

جاسر: لا.. أعتقد أنها تحاول أن تتبرأ منه أو أن تحميه!

ياسر : ومن أين أتاك هذا التصور؟!

هند : أنا موافقة على كلام « جاسر »، لأن « أم السعد » أخبرتني أنه مات منذ زمن طويل، ولكن صورته تقول إنه كان عندما التقطت له هذه الصورة في حوالي الثلاثين من العمر، أو أكثر، بينما شهادة ميلاده تقول إن عمره ٣٥ عاماً الآن.. إذن فهو ما زال حياً.. ولم يمت منذ زمن طويل كما تقول.. فهي إما أنها لا تريد أن يعرف أحد صلتها به لسوء سلوكه، أو أنها تحاول أن تحميه من شيء مجهول!

جاسر: ربما كانت تعلم أنه هو اللص.. ولذلك تريد أن تتستر عليه!

هشام: فعلاً! هذا كلام معقول..

هند : إذا وضعنا النقط بجوار بعضها.. فإني أعتقد أن عنتر هو اللص، وأنه أخفى المسروقات عند « أم السعد » بدون علمها.. وأنها اكتشفت الآن ذلك، ولذلك تحاول أن تنكر وجوده ومعرفتها به!

ياسر : بهذه الطريقة يكون الطريق قد أصبح واضحاً الآن..

هشام: كيف؟

هند : لقد انحصر العمل أمامنا في العثور على « عنتر »!

قال « ياسر وجاسر » معاً: نعم.. نعم.. العثور على « عنتر » هو الذي سيثبت براءة « أم السعد ».. ولم يعد أمامنا إلا أن نحدد، كيف.. وأين نعثر عليه!

مرة أخرى عادت « هند » تحدد الطريق: إن معنا صورته.. وأعتقد أنه سوف نجد من تمكن من رؤيته إذا كان قد جاء لزيارة « أم السعد » في بيتكم يا « هشام »!

قال « هشام » بحماسة: هذا صحيح.. فإن « أم السعد » لا تخرج أبداً.. ربما كان يأتي لزيارتها في وقت تكون فيه وحيدة في المنزل!

وهتفت « هند »: في يوم إجازة الخدم كلهم.. أليس كذلك؟!

وصرخ « جاسر »: يا ملكة التخطيط.. لقد وصلت إلى نتيجة

رائعة.. يزور عمته « أم السعد » في يوم إجازة الخدم كلهم.. مثل اليوم الذي..

وهتف « هشام » و « ياسر » في وقت واحد: الذي حدثت فيه السرقة!

جاسر: إذن كان يأتي إليها بصورة سرية..

هند : ومع ذلك.. فسوف يكون هناك من رآه.. فلا يمكن أن يدخل ويخرج من البيت بدون أن يراه أحد.. إن سكان بيوت المنطقة كلها تعرف بعضها..

هب المغامرون على أقدامهم.. وقال « جاسر »:سوف نسأل بعض الجيران الذين كانوا يسكنون منذ ما قبل وقوع السرقة!

هشام: أظن أنكم تعرفونهم الآن أكثر مني..

هند : حسناً! احضروا هذه الصورة، وهيا بنا، سوف نبدأ عند « عم عبده » البقال.. إنه يفتح محله على الناصية طوال اليوم حتى منتصف الليل.. وهو يرى منازلنا جيداً.. وأعتقد أنه أكثر من يمكن أن يلاحظ كل ما يحدث هنا!

وأسرعوا يهرولون إلى الشارع..

* * *

قال « عم عبده » ببساطة: طبعاً رأيت هذا الوجه كثيراً.. فقد كان يحضر منذ سنوات مرة كل أسبوع إلى هذا الشارع، وكثيراً ما توقف ليشتري مني بعض السجائر.. وكان هادئاً ومهذباً.. ولكنني لم أره وهو يدخل أي منزل.. فقد كان يمضي إلى الشارع الخلفي، ولم يكن يقضي أكثر من دقائق قليلة ثم أراه وهو يعود هادئاً كعادته، ثم يختفي عن عيني!

سأله « ياسر »: ولكن.. ألم تره منذ وقت قريب « يا عم عبده »،

عبده: أبداً.. سنوات طويلة لم أره فيها.. وإن لم أكن قد نسيت وجهه.. فقد رأيته كثيراً، ثم إن ذاكرتي قوية..

شكره الأولاد.. وأسرعوا يغادرون المكان إلى المكوجي.. ثم بعض خدم الجيران.. ولكن أحداً لم يذكر أنه رآه قريباً.. وإن كان البعض قد تذكر أنه كان يأتي إلى المنطقة منذ سنوات بعيدة!

قال « هشام »: إننا لم نتقدم أي خطوة حتى الآن!

قالت « هند » بدهشة: كيف ذلك؟! لقد تأكد لدينا الآن وجود « عنتر ».. وأنه شخصية حقيقية وعلى صلة « بأم السعد ».. وأنه كان يأتي بشكل سري، ويزورها في يوم إجازة بقية الخدم.. أي في اليوم الذي يخلو فيه سطح البيت من سكانه.. حيث تكون دادة « أم السعد » وحدها في حجرتها الخاصة فوق سطوح المنزل!

هشام: ولكن لم يذكر أحد أنه رآه وهو يدخل المنزل، حتى عم عبده!

قال « جاسر » يشرح له وكأنه يخاطب طفلاً صغيراً: وهل تعتقد أنه يزورها ويدخل المنزل من الباب الأمامي.. طبعاً كان يدخل من الباب الخلفي في الشارع الجانبي، ثم يصعد إليها فوق السطوح!

كانوا قد اقتربوا من المنزل.. وهم ما زالوا مستمرين في الحديث.. واقترح « ياسر » أن يحددوا الخطوة التالية حول فنجان من الشاي.. لم يعترض أحد.. جلسوا وقد وضعوا الصورة أمامهم على المنضدة الصغيرة.. ودخلت « دادة عواطف » تقدم لهم بعض الحلوى بجوار الشاي.. وضعتها على المائدة، وأمسكت الصورة لتبعدها قليلاً.. ثم نظرت إليها بدقة وقالت: إنني أعرف هذا الرجل.. لقد رأيته كثيراً وهو يزور منزلكم يا « هشام »!

نظروا إليها في عجب، قالت وهي ما زالت تنظر إلى الصورة: يبدو أن والدك يأتمنه كثيراً على بيتكم.. فهو الوحيد الذي كنت أراه وهو يدخل الفيلا بين وقت وآخر!

وصاحت « هند »: ماذا تقصدين.. هل كان يدخل المنزل أثناء غيابهم؟!

نظرت إليهم « دادة عواطف » بدهشة وقالت: طبعاً! هذا ما أقصده، لقد رأيته حتى وقت قريب قبل حضوركم.. وكان يأتي في المساء.. أظن أنه يأتي بعد أن ينتهي من عمله.. وأعتقد أنه كان يطمئن على المنزل وما فيه، ثم يخرج بعد قليل..

ونظروا إلى بعضهم.. وانفجروا ضاحكين.. بكل هذه البساطة.. هذه المعلومات التي يريدونها.. موجودة.. وأين..؟ في منزلهم.. وعند « دادة عواطف »..

نظرت إلى ضحكهم بغيظ، ثم تركتهم غاضبة.. لم تكن تعلم أنهم قد قضوا اليوم كله في محاولة أن يجدوا من يؤكد لهم أن « عنتر » هذا ما زال حياً.. وأنه يدخل المنزل ويخرج منه.. وها هي تخبرهم أنه كان يحضر حتى أيام قليلة.. لقد أكدت لهم الآن تماماً.. أن « عنتر السيد محيش » هو اللص بدون أدنى شك!!

• • •



يوم جديد. وأمل جديد

في صباح اليوم التالي، بدأت جلسة العمل مبكرة.. مع الإفطار مباشرة، وكان « هشام » قد أصبح واحداً من أفراد المنزل.. فقد أتى هو الآخر مبكراً، حتى يدركهم ويتناول معهم الافطار.. جلس، ثم قال وهو يمد يده ليتناول كوباً من الشاي: لقد أصبح أبي شديد الحزن من أجل « أم السعد ».. وشديد العصبية أيضاً، وكدت أخبره بما نجحتم في التوصل اليه من معلومات، ولكني خشيت أن يتهمنا بأنها أعمال صبيانية، وأننا نتدخل في أعمال الشرطة!

جاسر: حسناً فعلت.. فليس من المفروض أن نعلن شيئاً، حتى نتأكد تماماً من كل الحقائق التي توصلنا إليها!

وفي هذه الأثناء كانت « هند » تقرأ في بعض الأوراق التي وضعتها أمامها..

فقال « ياسر »: ماذا توصلت أميرة التخطيط حتى الآن!

هند : لقد سجلت هنا بعض الحقائق التي توصلنا إليها بالترتيب، والتي تقودنا حتماً إلى الخطوة التالية!

جاسر: حسناً.. هيا، لنستمع إلى ما كتبت!

هند : لقد جمعت الأحداث كلها والحقائق التي أمامنا، وتصورت أن ما حدث هو الآتي منذ سنوات طويلة، كانت « أم السعد » تعيش في منزلكم.. وكان لها ابن شقيق هو « عنتر » يزورها دائماً بشكل سري، وفي غياب الجميع، ولم يكن يبقى في زيارة عمته أكثر من دقائق، لعلها كانت تزوده فيها ببعض الأموال.. وكانت تحتفظ بسر هذه الزيارات لأن « عنتر » كان سيء السيرة والسلوك، ولهذا اضطرت إلى أن تجعل زياراته كلها سرية، ولكنه كان طماعاً، فلم يكتف بما تعطيه له، بل استطاع أن يصل إلى مكان مجوهرات العائلة.. وذات ليلة، قدم بعض المخدر الخفيف لعمته، وقد يكون ذلك في كوب من الشاي شربه معها فلما استغرقت في النوم، استطاع أن يستولي على الثروة كلها، وأن يخفيها في الكنبة في غرفة « أم السعد ».. وكان متأكداً أن أحداً لا يمكن أن يشك فيها.. ولعله علم بأن العائلة سوف تغادر مصر. وأن عمته ستسافر معها، فنجح في سرقة مفتاح المنزل، لمدة ساعات، وصنع مفتاحاً مشابهاً، ثم أعاد الأصلي إلى مكانه.. وفي غياب الأسرة

خارج مصر.. كان يتردد بين وقت وآخر، ربما ليأخذ قطعة من المجوهرات.. فلم يكن غبياً لدرجة أن يأخذها كلها، فيعرفها أي صائغ، ثم يقبض عليه.. ولهذا كان يحضر في الأوقات التي رأته فيها « دادة عواطف »..

وأعتقد أن « أم السعد » لم ترسل له رسالة تفيد عودتكم إلى مصر.. لذلك كانت عودتكم مفاجأة له.. وأظن أنه أتى للقائها فأخبرته بأنها سوف تقيم مع الأسرة في الدور الأول وأن حجرتها سوف تتحول إلى جزء من المستشفى، وسوف يباع الأثاث كله.. فأسرع يتصل بشخص يعرفه ليشتري له الكنبة، وحتى يستطيع أن يستولي على ما تبقى من المجوهرات.. وهذا هو السبب في أننا لم نعثر على الكنبة، فقد نجح في الاستيلاء عليها بما فيها من ثروة، فليس من المعقول أن يتركها تضيع منه..

هيه.. ما رأيكم في هذا التحليل؟

وصمت الأولاد الثلاثة قليلاً.. ثم هتف « هشام »: رائع! لا أتصور أن الأحداث يمكن أن تقع بغير هذا الشكل الذي صورته..

جاسر: شيء رائع.. هذه هي النظرية الصحيحة، ولكن علينا أن نثبتها بالأدلة المادية كما يقول رجل القانون!

هند : وهذا ما يجب أن نفعله!



ياسر : كيف؟

جاسر: إن لدينا نقطتين يمكن الاعتماد عليهما.. إن آخر ما توصلنا إليه بالنسبة للكنبة، أنها بيعت لأحد النجارين في منطقة بين السرايات..

النقطة الأخرى أن معنا الآن صورة « عنتر ».. وربما كان الحظ حليفنا، فوجدنا في بين السرايات من يتعرف على صورة « عنتر »!

هند : هذه هي الخطوات العملية التي يجب أن نتبعها!

وقف « ياسر » وقال: هيا بنا، ماذا ننتظر!

ولم يكونوا في حاجة إلى الانتظار، فقد أسرعوا بخطوات رشيقة سريعة إلى الطريق، وتقدموا بكل نشاط إلى محطة النقل العام، حيث استقلوا الأوتوبيس المتجه إلى بين السرايات..

مرة أخرى.. ولم يمض إلا يوم واحد.. حتى عادوا إلى نفس المكان الذي داروا بين شوارعه من قبل.. وقفوا في أول الطريق الرئيسي بالحي وقال « ياسر »: سوف نقسم أنفسنا إلى قسمين.. يأتي « هشام » معي.. ويذهب « جاسر » مع « هند ».. سوف نزور نحن المقاهي، ونحاول أن نسأل العاملين فيها عن صاحب الصورة، بينما تدوران أنتما على النجارين بحثاً عن الكنبة!

قال « جاسر »: لا بأس.. إن هذا يجعلنا نوفر الوقت بغير شك!

واتفق الجميع على اللقاء في الساعة الثانية في موقع معين..

وبدأت رحلة البحث الجديدة.. وكانوا يعلمون أنها صعبة، ولكنهم لم يتوقعوا أن تكون بمثل هذه الصعوبة.. فقد كانت طرقات هذا الحي الشعبي القديم ضيقة، ومزدحمة بها عدد من الأطفال لم يروه في حياتهم من قبل، عشرات المدارس والمحلات.. والورش الصغيرة والأسواق.. وكانت « هند » و « جاسر » يبحثان عن ورش أو معارض للنجارة لم يمرا عليها بالأمس.. ومضى الوقت بسرعة، وهما يتنقلان من مكان إلى آخر.. حتى تأكدا أنهما لم يتركا نجاراً في الحي كله لم يمرا عليه.. ولكن بدون فائدة على الإطلاق..

ولم يكن « ياسر » و « هشام » أفضل حالاً، فقد اضطرا إلى شرب عشرات من أكواب الشاي والزجاجات من المشروبات الغازية.. في كل مقهى يتجهون إليه.. وتحملا نظرات الشك في عيون عمال المقاهي وهم يحاولون عرض صورة « عنتر » عليهم.. حتى شعر « ياسر » بأنه لن يستطيع أن يرى كوباً من الشاي مرة أخرى في حياته..

وعندما توجهوا جميعاً إلى المكان المتفق عليه في الساعة الثانية، كانوا يجرون أقدامهم جراً من التعب والإرهاق..

وقال « ياسر » يائساً: لا فائدة، لم يعد أمامنا إلا أن ندق الأبواب، ونسأل عن كتبة قديمة للبيع، أو عن شخص رأى صورة « عنتر »!

ضحكت « هند » وقالت: لا داعي لليأس بهذه السرعة، لم ينقض سوى نصف يوم حتى الآن..

نظر « ياسر » حوله وكأنه يبحث عن شيء معين وقال: من قال لك إنني أشعر باليأس، إنني مستعد لكي أقضي عمري كله في البحث عن « عنتر ».. بشرط واحد، أن أجد الآن مطعماً آكل فيه وجبه شهية!

ضحك الجميع على الرغم منهم وقال « جاسر »: من حسن الحظ أن طلباتك معقولة.. معدة ممتلئة.. ولا شيء آخر!

قال « هشام »: إنني أرى مطعماً نظيفاً في آخر هذا الشارع.. ما رأيكم أن نكرر ما حدث في بولاق.. أليس من الممكن أن نجد عنده ما نبحث عنه!

قال « جاسر » ضاحكاً: إن المعجزة لا تحدث إلا مرة واحدة يا عزيزي، وقد حدثت في بولاق ولن تحدث لنا ثانية!

قال « ياسر » وهو يتجه إلى المطعم: ولماذا لا نقوم بهذه التجربة.. ربما تنجح، وفي نفس الوقت نأكل أكلة شعبية

طيبة.. فيبدو أن هذا المطعم متخصص في الكشري المصري العظيم!

تبعه بقية المجموعة في استسلام فلم يكن في وسعهم الاعتراض على شيء.. لقد غلبهم التعب والإرهاق..

لم يكن المطعم مكتظاً بالآكلين، فيبدو أنه كان من المطاعم الغالية الثمن.. فلم يظهر سوى عدد قليل من الطلبة، تناثروا على مقاعد هنا وهناك!

وأسرع الجرسون يتقدم إلى هؤلاء الزبائن الجدد، ويقدم لهم أفضل مائدة عندهم تطل على الطريق الواسع.. ووقف في أدب وبابتسامة واسعة ينتظر ما يطلبه هؤلاء الزوار الذين يزورونه لأول مرة!

وطلب « ياسر » كمية كبيرة من الطعام.. وأسرع الجرسون يطلبها من طباخ المطعم، وهو ينقل إليهم الماء والسلطة حتى ينتهي الطباخ من إعداد الطعام..

ونظر « جاسر » إلى المحل الموجود أمامهم وقال ضاحكاً: أنظروا! يبدو أن المعجزة سوف تتكرر.. إن أمامنا تماماً محلاً لأحد النجارين!

قالت « هند » بعتاب: كفى سخرية يا « جاسر ».. إن هذا معرض كبير للأثاث، وليس مجرد نجار صغير، أو محل « للروبابيكيا ».. هل تتصور أن يشتري صاحب هذا المعرض الفاخر كنبة قديمة!

جاسر: آسف لم أقصد السخرية.. ولكن أنظري.. إن بجواره ورشة للنجارة تابعة لنفس المحل!

ياسر : ولكنها ورشة خاصة بأثاث المعرض، وليس للروبابيكيا! أو الأثاث القديم!

هشام: ولكنه نجار على أية حال!

ياسر : حسناً انتظروا حتى ننتهي من الطعام.. وسوف أذهب إليه، وأسأل صاحبه عن الكنبة، وعن صورة « عنتر » أيضاً!

هند : في هذه الحالة، سوف يكون غذاؤك على حسابي، أنت مدعو عندي اليوم كله!

ياسر : ولماذا لم تقولي ذلك من قبل حتى أطلب كمية أكبر..

وبدأ الضحك ينسيهم متاعبهم.. وأحضر الجارسون الطعام، فبدأوا يلتهمونه بشهية مفتوحة.. ولم يكن « ياسر » هو الوحيد الذي طلب المزيد من الطعام.. ولكنهم جميعاً، طلبوا عدداً آخر من أطباق الكشري.. بعد ذلك، جاءهم الشاي المصري الشهير بالنعناع.. شربوه بإعجاب شديد.. وبهذا انتهت وجبة الغذاء..

وفي هذه اللحظة، تبادل « هشام » و « ياسر » النظرات.. وقال « هشام »: الآن!

ضحك « ياسر » ونظر بدوره الى « هند » و « جاسر » وقال: نعم، لقد آن الأوان لأخبرهم بما لدينا من معلومات!

هند : معلومات.. ماذا تقصد؟

أجاب « جاسر »: لقد كان مجيئنا إلى هذا المكان مدبراً، فقد استدرجتكم إليه، لأننا نحتاج إلى الوصول إلى هنا، ولكنني لم أخبركم بما حصلنا عليه من معلومات، حتى لا تحرمونا من هذه الأكلة الشهية!

قالت « هند » بغضب: لقد امتلأت معدتك.. وعلى حسابي.. بعد

أن استنزفت ميزانيتي كلها، الآن تكلم فوراً.. فلم نعد نحتمل الانتظار!

أشار « ياسر » بيده إلى المنزل المواجه.. والذي يعلو معرض الأثاث وقال: أنظروا إلى هذا البيت.. لقد كان « عنتر » يسكن هنا!

جاسر: يسكن هنا؟ هل أنت متأكد.. من قال لك هذا؟

هشام: قاله المكوجي الذي يبعد عن هنا حوالي مائة متر! لقد تعرف على الصورة فوراً! وأشار لنا على البيت، وإن كان يقول إنه لم يعد يرى المعلم « عنتر » هنا منذ مدة طويلة!

ياسر : ولا بد إذن من أن صاحب هذا المحل، هو الذي اشترى الكنبة لحساب « عنتر »، فلا بد أنهما صديقان منذ فترة طويلة.. هي المدة التي عاشها « عنتر » في هذا البيت!

هشام: والحل الوحيد كي نتأكد هو أن نقابل صاحب هذا المحل!

قالت « هند » بهدوء وهي تشير إلى الخارج: لا أظن أن المسألة ستكون بهذه البساطة انظروا إلى صاحب المحل!

على الباب كان يقف رجل فارع الطول قوي البنيان، يرتدي الملابس البلدية.. وعلى وجهه امارات القسوة والجبروت.. وبدأ صوته الجهوري يرتفع في سباب غاضب، وهو يضرب طفلاً صغيراً لم يتجاوز العاشرة من عمره، متهماً له بالإهمال الذي يستحق الموت..

ونظروا إليه جميعاً في غضب، كانت ضرباته القاسية تنهال على الصغير، ولم تفلح صرخاته المسترحمة، ولا اعتذاراته البريئة، في إيقاف هذا السيل المنهمر من الضربات الوحشية، ولم يتمالك « ياسر » نفسه وهو يرى هذا المنظر البشع، فانطلق يقطع الشارع جرياً ووراءه « هند » ثم « جاسر » و « هشام »..

اندفع « ياسر » يمسك بيد المعلم الطاغية، ويمنعه من الاستمرار في عدوانه وهو يصرخ فيه: كفى.. أليس في قلبك رحمة..

وفي اللحظة التي تحول فيها الرجل الغاضب ليواجه « ياسر ».. تسلل الصغير المسكين هارباً.. فزادت غضبة الرجل، وصرخ في وجه المغامرين: كيف تجرؤ على ما فعلت، كيف تمنعني من تربية هذا الولد العاق.. المهمل؟!

وخيل إلى « هند » أن الرجل سيوجه ضرباته إلى « ياسر ».. ولكنه وقف في وجهه بتحد وصرامة وقال: ليست هذه تربية.. إنها جريمة، لقد كاد الصغير يموت تحت ضرباتك!

انبعث الشرر من عيني الرجل، وصرخ غاضباً في وجه « ياسر »، وهو يطرده من المكان!

أصبح واضحاً الآن.. أنه من المستحيل الحديث مع الرجل، وهو في هذه الحالة العصبية الخطيرة، فقد أفسدت شهامة « ياسر » كل ما قاموا به من عمل طوال اليوم.. ووقعت عينا « هند » على الصبي الصغير.. انفجرت ضاحكة وهي ترى وجهه يخرج من وراء جدار صغير، يترقب نهاية المعركة.. ونظر لها الرجل غاضباً، وصرخ فيها: هل تضحكين مني!

بوجه طيب، وابتسامة بشوشة.. قالت « هند »: العفو يا سيدي.. أنا لا أضحك منك، ولكني أضحك من الغيظ، لقد كنا قادمين للقائك أنت بالذات، وسرنا مسافات طويلة حتى عثرنا عليك.. ولكن لن نستطيع الآن أن ننجز المهمة التي حضرنا من أجلها!

ذهب الغضب قليلاً عن وجه الرجل.. وحلت محله الدهشة العميقة، وهو ينظر إلى هذه الفتاة الصغيرة، ومعها ثلاثة من الصبيان.. وقد أتوا للقائه.. سألها بحدة: أتيتم لزيارتي أنا.. لماذا؟ ماذا تريدون مني؟!

انتهز « جاسر » فرصة هدوء الرجل، فقال: نعم.. جئنا إليك لأننا نعرف أنك صديق المعلم « عنتر ».. وأنه كان يسكن في منزلك!

ولدهشتهم الشديدة.. انفجر الرجل في عاصفة من الغضب، أقوى مما توقعوها.. وأمسك بعصاة غليظة.. واتجه إليهم، مطارداً لهم في الطريق: لم يبق إلا أنتم.. المعلم « عنتر ».. أنا لا أعرفه، ولا أعرف أين ذهب.. لقد اختفى دون أن يدفع إيجار المنزل، انصرفوا من هنا.. هيا.. هيا!

وجدوا أنفسهم يجرون في الطريق العام.. وقد ارتفعت ضحكاتهم.. ووراءهم رجل كالوحش يطاردهم بجنون.. أخيراً.. توقفوا، فقد ابتعدوا عنه مسافة كافية.. وقال « جاسر » بين الضحكات: لم أتصور أبداً أن يحدث لنا ذلك!

هند : نهاية ضاحكة ليوم كله تعب ومشقة! ولكن ماذا سنفعل الآن؟!

ياسر : لا شيء.. لن نجرؤ على الاقتراب من الرجل.. سنفكر في حل آخر.. ولكن ليس الآن وليس اليوم أيضاً..

جاسر: حسناً.. هيا بنا.. إلى أقرب محطة أتوبيس!

نظرت « هند » حولها وقالت: ليتنا نجد سيارة أجرة.. فإن موقف العربات العامة ما زال بعيداً!

أجابها « ياسر »: لا فائدة من النظر حولك.. فسيارات التاكسي لا تجازف بالدخول في هذه الشوارع الضيقة.. المكتظة بالأطفال!

تحاملت على نفسها، ومضت تسير بينهم.. وتوقف « جاسر » فجأة، ونظر وراءه:

سأله « ياسر » ضاحكاً: ماذا تفعل.. هل تخشى أن يكون المعلم قد عاد لمطاردتنا!

جاسر: لا.. ولكني أشعر لسبب لا أدريه أننا مراقبون!

همست « هند »: إن لدي نفس الشعور، ولكني خشيت أن أذكره فلا أسلم من سخريتكم!

توقفوا قليلاً، نظروا حولهم.. لم يجدوا شيئاً لافتاً للنظر.. فواصلوا سيرهم.. استمروا قليلاً، ثم مالت « هند » على شقيقها « جاسر » وقالت: أنا متأكدة أن هناك من يتتبعنا.. أشعر بذلك شعوراً غامضاً..

جاسر: وأنا كذلك.. على كل حال تظاهري بالسير.. وكأننا لا نشعر بشيء..

خطوات.. وخطوات.. ثم استدار « جاسر » فجأة وراءه.. وأمسك شيئاً بيده، ثم انفجر ضاحكاً مرة أخرى.. كان الذي يتبعهم هو ذلك الصغير الذي أنقذوه من يد المعلم الغاضب.

انكمش الولد خائفاً وقال: إنني لم أفعل شيئاً!

تركه « جاسر » وقال: لماذا تسير وراءنا؟

تردد الصغير قليلاً ثم قال: كنت أريد أن أشكركم.. ثم..

وصمت.. ونظر حوله.. وظلوا صامتين في انتظار ما يقول.. سألته « هند » بهدوء وحنان: ثم ماذا؟

بيساطة لا تخطر على بال قال: ثم إنني أعرف المعلم « عنتر »!

° ° °



الضربة الأخيرة..

نظر المغامرون الثلاثة إلى بعضهم.. وإلى صديقهم « هشام » في ذهول، كانت البساطة التي ألقى بها الطفل الصغير هذه القنبلة بينهم أكثر مما توقعوا.. بعد اليأس والفشل، إذا بهذا الصغير المسكين، يعيد إليهم الأمل مرة أخرى.. أخيراً استطاع « ياسر » أن يتحرك.. تقدم من مكانه، كان الولد ينظر إليه هو بالذات بإعجاب شديد، أليس هو البطل الذي أنقذه؟! وتوجه إليه « ياسر » بالحديث..

ياسر : هل صحيح ما تقول؟! هل تعرف المعلم « عنتر »؟!

الولد: طبعاً أعرفه جيداً، ويعرفه المعلم « سلطان » هو أيضاً.. لقد كذب عليكم عندما قال إنه لا يعرفه!

نظروا إليه وفي عيونهم نظرة عدم التصديق..

قال : صدقوني، إنني لا أكذب أبداً.. إن المعلم « سلطان » كان يضربني لأنه طلب مني أن أكذب على أحد الزبائن ولكني

رفضت، وقد قررت أن أسير وراءكم وأخبركم بالحقيقة، لأنكم أنقذتموني من بين يديه!

هند : وما هي الحقيقة يا صديقي؟

الولد: الحقيقة أن المعلم « سلطان » يعرف « عنتر ».. مع أنه لم يعد « عنتر »، وهو يقابله كثيراً، ويشترك معه في عمليات تجارية كبيرة!

ظهر القلق والشك في عيونهم.. وعاد « ياسر » يسأله: ماذا تقصد بأن « عنتر » لم يعد « عنتر »؟

الولد: أقصد أن المعلم « عنتر » ومنذ ترك البيت قد غير ملابسه البلدية، أقصد الجلباب واللبدة.. ويلبس الآن البدلة الإفرنجية، ويقود السيارة الكبيرة، حتى اسمه أصبح الأستاذ « أبو الفضل »!

الآن بدأت تتضح أمامهم الحقيقة.. لا بد أن الثراء قد أصاب « عنتر »، فحوله إلى « أبو الفضل »..

وسألته « هند » برقة: ولكن متى غادر عنتر البيت هنا؟!

الولد: منذ سنوات كثيرة!

هند : إذن كنت أنت صغيراً، فكيف تعرف أن « أبو الفضل » هو عنتر؟!

نظر إليها الصبي في دهشة.. ولم يتصور أنها تسأله هذه الأسئلة التي يعرفها جيداً.. ومتأكد من حقيقتها.. قال: أمي.. إن أمي تعرفه جيداً، وعندما تراه وهو يركب السيارة ويأتي إلى المعلم « سلطان ».. تضحك وتقول.. لقد ودع « عنتر » أيام الفقر.. وأصبح رجلاً كبيراً.

لم يعد هناك مجال للشك.. ولكن.. ولمزيد من التأكيد، أخرج « جاسر » الصورة من جيبه، وقدمها إلى الصبي وسأله: هل هذا هو « عنتر » الذي تقصده؟!

نظر الولد إلى الصورة، ثم رفع وجهه إلى « ياسر » ببراءة وقال: طبعاً هو.. إنه « عنتر ».. الذي أصبح الآن « أبو الفضل »!

ظهر الارتياح على وجوههم.. وسألته « هند »: هل أتى إلى هنا في الأيام الماضية؟!

الولد: لقد حضر منذ أسبوع.. وبقي مع المعلم « سلطان » وحدهما في غرفة مغلقة مدة طويلة.. ثم مضى مسرعاً.. حتى لم يسلم عليَّ!

ابتسم الأولاد وسأله « ياسر »: وهل هذه هي المرة الأخيرة التي رأيته فيها؟!

ضحك الصبي وقال: لا.. لقد رأيته المرة الأخيرة أول أمس.. عندما ذهبت مع العربة إلى منزله، لنوصل له الكنبة القديمة التي اشتراها له المعلم « سلطان » من بائع « الروبابيكيا »..

في هذه المرة لم يستطع أحد منهم أن يتمالك نفسه.. قفز « ياسر » ليقبل الصبي الذي نظر إليه مندهشاً، بينما أخذ الباقون يصافحون بعضهم بحرارة.. ها هي ذي نظريتهم تتحقق.. إنه هو الذي حصل على الكنبة.. إن هو اللص فعلاً..

عاد « ياسر » يربت على ظهر الصبي بحنان ويسأله: هل تعرف منزل المعلم « عنتر » أقصد الأستاذ « أبو الفضل »!

أجاب بحماسة: طبعاً أعرفه، ولكنه بعيد عن هنا!

ياسر: هل يمكن أن توصلنا إليه؟

هز الولد رأسه رافضاً!

إنتابت الحيرة المغامرين.. سأله « ياسر » برقة: لماذا؟

أجاب ببساطة: لأن المنزل بعيد، وإذا ذهبت معكم، فسوف أتأخر عن المحل.. وسأتعرض للضرب مرة أخرى. ولن ينقذني أحد!

كان منطقه سليماً.. ولم يعرفوا ماذا يمكنهم أن يفعلوا في مثل هذه الظروف.. فجأة، سأله « جاسر »: متى تنتهي من عملك؟

سأل بدوره: كم الساعة الآن؟

جاسر: الساعة الرابعة والنصف!

قال : إن عملي ينتهي بعد ثلاث ساعات!

وفكر الأولاد في نفس الفكرة التي خطرت على بال « جاسر ».. وكان من الواضح أنه ليس أمامهم ما يفعلونه غير انتظاره..

عاد « ياسر » يسأله: هل يمكنك توصيلنا إليه.. إذا انتظرناك لما بعد الانتهاء من عملك!

أجاب بترحاب: طبعاً.. إنني أعرف الطريق جيداً.. وبعد الانتهاء من العمل لن يمكن للمعلم « سلطان » أن يضربني مرة أخرى!

ياسر : عظيم.. أين تريد منا أن ننتظرك؟!

أدار الولد رأسه هنا وهناك.. ثم أشار بيده الصغيرة إلى الميدان وقال: هناك! حتى لا يرانا المعلم « سلطان ».. وحيث نستطيع أن نركب الأوتوبيس المباشر إلى منزله..

وكما ظهر فجأة.. حياهم بيده.. وأسرع يجري في طريق العودة.. ولم يكن أمامهم بدٌ من الانتظار.. فهذا هو الطريق الوحيد أمامهم.. ثلاث ساعات؟! ليكن.. وبدأوا السير في اتجاه الميدان.. ولكن في هذه المرة كان النشاط قد عاد يدب فيهم مع دبيب الأمل..

كانت هذه هي أطول ثلاث ساعات في حياة المغامرين الثلاثة.. كانت الأحلام تراودهم وهم يتصورون نجاحهم في القبض على

المعلم « عنتر » وإنقاذ « أم السعد »، ثم تعود الوساوس تتلاعب بهم، فمن أدراهم إذا كان هذا الطفل الصغير صادقاً حقاً في معرفته بالمعلم « عنتر ».. أليس من الممكن أن يكون قد حاول أن يرد جميلهم بهذه القصة التي ابتكرها خياله الصغير..

وهكذا ظل الشك واليقين يتلاعبان بهما ساعة وراء الساعة، وأخذ كل منهم يتحدث إلى الآخر، ينقل إليه تساؤلاته وقلقه، ولم يستطع واحد منهم أن يبعث الثقة والراحة في نفس الآخر..

وبلغ القلق بهم مبلغاً كبيراً، وبدأ اليأس يتسلل إلى نفوسهم مرة أخرى.. عندما وصلت الساعة السابعة والنصف ولم يظهر الصبي..

قال « هشام » بصبر نافد: سوف ننتظره خمس دقائق أخرى، فإذا لم يظهر، فعلينا أن نمضي من هنا فوراً، يكفي أن طفلاً صغيراً استطاع أن يضحك منا..

وفجأة.. ظهر الولد الصغير وسطهم تماماً.. وجذب ساق « ياسر » وهو يقول: إنني مستعد الآن.. هل ما زلتم تريدون زيارة « أبو الفضل »؟

وصاح « ياسر » فرحاً: طبعاً! ألا ترى أننا ما زلنا في انتظارك؟

ببساطة أمسك بيد « ياسر ».. وتقدم في اتجاه موقف عربات الأوتوبيس وقال: نركب أوتوبيس ١٣ المتجه إلى الزمالك!

وكان المنظر غريباً.. طفل في العاشرة من عمره يقود مجموعة من الشباب، وهم يسيرون وراءه في استسلام..

نزلوا من العربة في الزمالك.. وكان الليل قد بدأ يحل حولهم.. ولكن الصبي كان يسير بكل ثقة ويتحرك من شارع إلى آخر بكل ثبات.. وعندما وصل إلى شارع شجرة الدر.. أشار إلى عمارة ضخمة، فاخرة.. وقال: إنه يسكن في الدور رقم ١١ في شقة ١١١... ولكنني لن أستطيع أن أذهب معكم.. حتى لا يتعرف عليّ، وتكون نهايتي على يد المعلم « سلطان ».

ضحك « ياسر » وقال: وماذا ستفعل الآن؟

قال : سأعود إلى بيتنا فوراً، فلا بد أن أمي في انتظاري!

أخرج « ياسر » مبلغاً من النقود من جيبه، وحاول أن يقدمه له.. ولكنه ثار في وجهه وقال حزيناً: هل تعطيني ثمناً لخدمة أقدمها لك.. كنت أظنكم أصدقائي!

وأسرعت « هند » تعتذر إليه قائلة: طبعاً! نحن أصدقاؤك.. ولكن « ياسر » يحاول أن يقدم لك ثمن تذكرة الأوتوبيس.. هل ستعود سائراً على قدميك!

أجاب بكبرياء: إن معي ثمن التذكرة!

شدوا على يده بإعجاب شديد.. وشكروه بحرارة.. ووعده « ياسر » بأنهم سيزورونه مرة أخرى في وقت قريب!

وقفوا ينظرون إلى العمارة الضخمة الفاخرة.. هل معقول أن يسكن فيها « عنتر »؟! وبدأوا يتشاورون.. هل يواجهونه بكل ما يعرفون عنه من معلومات.. أم يكتفون بالتعرف عليه حتى يبلغوا الشرطة بهذه المعلومات.. استقر رأيهم على الفكرة الأخيرة، وهكذا استقلوا المصعد الذي ارتفع بهم بسرعة قياسية إلى الدور رقم ١١.. وكان من الواضح أن الشقة رقم ١١١ هي الشقة الوحيدة في الدور كله.. والذي كان في حجم قصر كبير على الأقل.

تقدم « ياسر » بكل ثقة.. وقرع الجرس.. وشعر أن هناك من ينظر إليه من عين سحرية.. فعاد يرن الجرس..

انفتح الباب فجأة، ووقف في مواجهتهم « عنتر » بشحمه ولحمه.. ولكنه كان مختلفاً كثيراً عن الصورة التي معهم.. كان أعظم منظراً.. ويبدو شديد الأناقة.. والعظمة.. وفي فمه سيجار ضخم مثل رجال الأعمال.. وقد بدت الشقة من خلفه وقد تميزت بالأناقة والذوق السليم.. نظر إليهم في دهشة وقال: من أنتم؟ وماذا تريدون؟!

قالت « هند » بجرأة: هل أنت الأستاذ « أبو الفضل »؟

أجاب ببرود: نعم أنا..



قال « جاسر »: إذن فأنت تعرف بلا شك المعلم « عنتر ».. أليس كذلك؟!

نظر إليه وقد ازدادت دهشته، وقال بصبر نافذ: « عنتر ».. المعلم « عنتر ».. أنا لا أعرف أحداً بهذا الاسم؟! هيا تفضلوا من هنا، ليس لدي وقت أضيعه معكم!

وبدأ يتحرك ليغلق الباب، ولكن « ياسر » تصرف بجرأة شديدة.. فقد مد قدمه ليمنعه من ذلك وقال: معلم « عنتر ».. إن عمتك دادة « أم السعد » تحتاج إليك.. ألا تعرف أنها في السجن بسببك؟!

دفعه الرجل دفعة شديدة، ألقته بين ذراعي « هشام » وقال عنتر: « أم السعد »، ما هذا الكلام الفارغ.. ابتعدوا من هنا فوراً قبل أن يحدث لكم ما لا تتصورونه!

وأغلق الباب بشدة.. فانصفق في وجوههم!

قالت « هند » بصوت حاسم: هيا نهبط إلى الطريق.. لقد أخطأنا خطأً كبيراً!

نظر إليها « هشام » و « ياسر » بتعجب، بينما قال « جاسر »: نعم! هذا صحيح!

استقلوا المصعد.. ومد « هشام » يده فضغط على الزرار الذي يهبط بهم إلى الدور الأرضي وبنفس السرعة، وصل المصعد إلى

الأرض.. ودفع « ياسر » الباب.. وخرج.. نظر حوله وقال: ياه.. لقد أخطأنا المكان.. لقد هبطنا إلى ما تحت الأرض.. إلى الجراج الخاص بالعمارة..

قال « هشام » في لهفة: إنه مكان غريب.. انتظروا لحظات، أريد أن أشاهد هذا الجراج..

قالت « هند »: لا مانع.. نستطيع أيضاً أن نحدد خطواتنا، ولكن بدقة هذه المرة.. في هذا المكان الهادئ!

كان الجراج كبيراً، واسعاً.. سعة المبنى الضخم، وكان هادئاً في هذا الوقت من المساء، حيث يكون أصحاب السيارات تقريباً في الخارج ولم يعودوا إلى بيوتهم بعد، وتنقلوا في المكان الذي بدا شبه خالٍ.. ما عدا عدداً قليلاً من السيارات الفاخرة..

فجأة صرخ « هشام »: انظروا! انظروا! هي.. إنها هي!

توقعوا أن تقع أنظارهم على سيدة ما.. ولكن « هشام » كان يشير إلى كومة من الأخشاب في ركن قصي من الجراج.. وبرغم الضوء الخافت.. فقد استطاعوا أن يميزوا أن ما أشار إليه « هشام » لم يكن إلا الكنبة المفقودة..

أسرعوا إليها.. والتفوا حولها.. وقال « هشام » بتأكيد: إنني أعرفها.. هذه هي كنبة « أم السعد ».. لقد كان لها جانب مختلف في لونه عن بقية الخشب.. وهذا هو..

أخذوا يدققون النظر.. كانت الكنبة من هذا الطراز القديم، والذي يستخدمه البسطاء من الناس كصندوق يضعون فيه ملابسهم.. أو الثمين لديهم.. وكان بابها الآن مخلوعاً من مكانه.. محطماً.. والكنبة الصندوق خالية..

رفع « جاسر » رأسه وقال: الآن.. لم يعد هناك مجال للشك.. إنه فعلاً المعلم « عنتر ».. وهو اللص الذي سرق المجوهرات وأخفاها في الكنبة.. ثم استولى عليها أو على ما تبقى منها بعد عودتكم!

هند : يجب أن نعمل الآن بتخطيط دقيق.. ليس في وسعنا الخطأ مرة أخرى، لقد أخطأنا عندما واجهناه بحقيقته، فهو يعرف الآن أننا قد كشفنا جريمته، وسوف يهرب بكل المجوهرات، وإذا حدث هذا فلن نتمكن من إثبات براءة « أم السعد »!

ياسر : ماذا تقترحين إذن؟

هند : أن نحاول عرقلته.. ومنعه من الهرب حتى نتصل بالشرطة.. وعلى ذلك، سنقسم العمل بيننا، يذهب « ياسر » إلى عمي عماد.. أو يتصل به ويبلغه بكل القصة، بينما نعمل نحن على تعطيله.. بحيث لا يتمكن من الهرب.. الآن أسرع أنت يا « ياسر » إلى المقدم « عماد »!

وأطاع « ياسر » الأمر على الفور.

قال « هشام »: وكيف نقوم نحن بتعطيله؟

جاسر: نصعد إليه من السلم المخصص للخدم.. بحيث نفاجئه من الباب الخلفي، ونبدأ في الدخول معه في حوار طويل، يبقيه أكبر مدة ممكنة في مكانه حتى تصل الشرطة.

هند : لا مانع.. هيا بنا!

اتجهوا إلى السلالم الخلفية، نظرت « هند » إلى أعلى وقالت: ياه.. أحد عشر دوراً.. سوف تتقطع أنفاسنا قبل الوصول.. إن اليوم هو أطول يوم في التاريخ..

ضحك « جاسر » وقال وهو يضع قدمه على السلم: ولكنه يبدأ بخطوة واحدة.. هيا.. واحد.. اثنين.. ثلاثة..

وفي نفس اللحظة توقف المصعد، وخرج منه رجل اتجه إلى سيارة فاخرة.. ومضى بها.. كانوا مشغولين بالصعود، فلم يلاحظوا أنه « عنتر »..

وبدأت رحلة الصعود الشاقة.. ولكن شبابهم وحيويتهم وحب المغامرة، كانت تدفعهم إلى مزيد من النشاط.. وإن كان ذلك لم يمنعهم من التوقف بين وقت وآخر لالتقاط الأنفاس..

أخيراً وصلوا إلى الدور الحادي عشر.. وقفوا أمام باب المطبخ

الخلفي.. طرقوا الباب بخفة، ولم يسمعوا رداً.. ازداد طرقهم.. ولكن أيضاً بدون جدوى..

همس « جاسر »: هل معقول أن هذا المنزل الفاخر ليس به خدم؟!

هند : نعم.. ألا تذكر أنه هو الذي فتح لنا الباب بنفسه..

هشام: ولكن أين هو الآن؟ هل تمكن من الهرب؟

دفع « جاسر » الباب بيده دفعة خفيفة، فإذا به يستجيب له.. كان الباب مفتوحاً! قال: لعل أحد الخدم قد خرج وتركه مفتوحاً ليسهل عودته.

أجابت « هند » بقلق: ربما!

مرة أخرى مد « جاسر » يده ودفع الباب، ولم يسمع أي رد فعل، فأشار لهما كي يتبعاه.. عبر المطبخ إلى داخل المنزل.. كان غارقاً في الهواء.. وفي ضوء بسيط في بعض الأركان.. تشجع قليلاً ثم هتف: هل يوجد أحد هنا؟

لم يسمع رداً.

قال هامساً: المنزل خالٍ!

قالت « هند »: احترس!

مد « جاسر » يده إلى زرار الكهرباء.. وأضاء النور، فغمر الضوء الصالة الواسعة، ذات الأثاث الرائع فقال: إذا كان هنا أحد، فسوف يظهر.

ولكن الدقائق مضت.. ولم يظهر أحد، أخذوا يتجولون في المكان.. وقالت « هند » بتعجب: انظرا إلى هذه التماثيل الغريبة!..

ونظرا إلى حيث أشارت.. كانت هناك مجموعة من التماثيل الكبيرة.. وصل أحدها إلى ارتفاع متر.. بينما تناثر أكثر من ثلاثة آخرين.. أصغر منه حجماً..

قال « هشام »: ما هو الغريب فيها؟

هند : الغريب أن شكلها لا يدل على قيمة كبيرة، مثل باقي التحف التي تملأ المكان.. ان من يراها يعتقد على الفور أنها مصنوعة من الجبس الرخيص.

اقترب « جاسر » منها، ورفع أصغر التماثيل.. وقال: هذا صحيح.. ثم إنه يبدو وكأنه ما زال في طور التصنيع.. إن الجبس لم يجف بعد!

هشام: ربما كان « عنتر » فناناً، يصنع التماثيل ويبيعها للسياح!

ضحكت « هند » وقالت: خاصة أن بعضها يشبه تمثال أبو الهول!

استدار « جاسر » ليريها شيئاً في التمثال.. وإذا به يسقط من يده.. ويتناثر قطعاً على الأرض.. وقبل أن يفيق أحدهما من

المفاجأة.. ومن الصوت العالي الذي صحب سقوط التمثال.. إذا بهم يغرقون في مفاجأة أخرى.. كانت أجزاء التمثال المتناثرة مختلطة تماماً بقطع من المجوهرات اللامعة.. أخذ بريقها يخطف الأبصار!

وصاحت « هند »: المجرم.. إنه يخفي المجوهرات المسروقة في هذه التماثيل.. يضع عليها الجبس، ثم يتم تجميلها حتى تبدو كالتماثيل الفاخرة!

اندفع « هشام » إلى الجواهر المتناثرة، وأمسك بقطعة منها صارخاً: انظرا إنها الفردة الثانية من حلق أمي.. اللؤلؤة السوداء نفسها!

همست « هند »: هذا صحيح.. يجب أن نتحرك فوراً! وجود هذه المجوهرات هنا يؤكد أن « عنتر » لم يهرب بعد، يجب أن نتصرف قبل أن يعود!

— لن يتحرك أحد من مكانه!

نظروا خلفهم في رعب من المفاجأة.. على الباب وقف رجل غريب، لم يروه من قبل، وهو يمسك في يده مسدساً كبيراً.. وقد بدا على وجهه الشر والخطر..

قال وهو يقترب منهم : صحيح أن « عنتر » لم يهرب.. وانه قد ذهب ليعد لنا مكاناً آخر أميناً.. ولكني أخطأت عندما تركت المنزل لمدة دقائق قليلة.. فتركتكم تدخلون.. حسناً

الآن.لن يمكنكم الخروج، حتى يعود المعلم « عنتر ».. ويرى ماذا يفعل بكم؟

وأشار لهم بسلاحه الناري حتى انكمشوا في ركن من الصالة.. وجلسوا في مقاعدهم هادئين..

قالت « هند » بجرأة: هل تتصور أنكم سوف تهربون بهذه المسروقات كلها؟!

أطلق ضحكة عالية وقال: نعم.. ولم لا؟

ثم رفع مسدسه وقال: لا أريد كلمة واحدة من أحدكم.. هل فهمتم!

ظلوا صامتين في أماكنهم.. وبدأ الوقت يمضي.. وتعجبت « هند » لماذا تأخر « ياسر » في العودة.. ألم يجد المفتش « عماد ».. لماذا لم يتصرف ويتصل بأحد غيره؟!

كان « جاسر » يفكر في نفس التفكير.. خشى أن تتأخر الشرطة حتى يهرب المجرمون.. نظر حوله.. كان بجواره تماماً التمثال الكبير.. فكر في أن يحتمي به، ويقذف الرجل بتمثال آخر في نفس الوقت.. انتظر لحظات، شعر أن الرجل قد أبعد نظراته عنه.. فتحرك.. وجرت الأحداث بكل سرعة؟

في اللحظة التي تحرك فيها « جاسر » للاحتماء بالتمثال.. أطلق الرجل مسدسه الذي يضع عليه كاتماً للصوت.. ورأى الأولاد بريق

نار الرصاصة وهي تندفع في اتجاه « جاسر ».. الذي سقط على الأرض.. وهو يحتضن التمثال. وسقط التمثال بدوره ليتحطم إلى أجزاء رفيعة.. وإذا بعدد من التماثيل الفرعونية الذهبية الثمينة، تسقط من قلب التمثال..

كان الموقف خرافياً.. « جاسر » يمسك بكتفه الذي أصابته الرصاصة، وهو يئن أنيناً خفيفاً.. وبعض من دمه قد سال على الأرض بجواره، ليختلط بالتماثيل الفرعونية التي لا تقدر بثمن.. و « هند » تحاول أن تمسك صرخاتها خوفاً على شقيقها تحت تأثير رصاص المجرم الرهيب؟

وقال المجرم وهو يحرك سلاحه بينهم: حركة أخرى.. كلمة.. سوف تستقر الرصاصة في القلب تماماً! عودي الى مكانك!

عادت إلى مكانها في خوف وهلع.. فقد كان واضحاً أنه لن يتورع عن تنفيذ تهديده! وكان « جاسر » يتألم في صمت!

ومضت الدقائق ثقيلة.. وشعرت « هند » بأنها توشك على الموت خوفاً.. عندما سمعت حركة ضئيلة عند الباب.. وتحرك المجرم قائلاً في انتصار: لقد عاد المعلم « عنتر »..

أسرع يتجه بظهره إلى الباب.. ووجهه لهم.. فتح الباب بيده وهو يقول: عندي لك هدية يا معلم! و..

ولكنه لم يتم كلامه.. ولم يشعر بما حدث له.. فقد كان « عجيبة » أسرع مما يتصور أحد، وهو يقفز فوقه، فيسقطه على الأرض.. واندفع « ياسر » ليقذف المسدس من يده بقدمه، وينزلق المسدس عند أقدام « هند »، التي تمسكه بيدها وهي تصيح:

— « ياسر ».. الاسعاف.. النجدة.. لقد أصيب « جاسر »!

وقفز « ياسر » إلى الداخل، وهو يصيح في « عجيبة »: لا تتركه..

ولم يكن « عجيبة » في حاجة إلى هذ الطلب، فقد جثم فوق صدره.. وهو مكشر عن أنيابه.. وأغمض الرجل عينيه من الرعب.

التف الثلاثة حول « جاسر ».. وقال « ياسر » لشقيقته: اطمئني! إنه جرح سطحي في كتفه.. سأربطه حتى أتصل بالطبيب.

قالت: أين الشرطة؟

ياسر : لم أجد عمي « عماد ».. تركت له مذكرة سريعة، وفكرت في إحضار « عجيبة » معي، فقد نحتاج إليه، وكان تقديري سليماً!

ثم تحرك إلى الرجل المستسلم، وبسرعة ربط يديه وقدميه برباط متين.. ووضع قطعة من البلاستر على فمه.. وجذبه إلى ركن غير ظاهر وقال: الآن ننتظر « عنتر »!

مدت « هند » يدها فأطفأت الأنوار، وهمست « لياسر » و« هشام »: يجب أن نختفي وراء هذه الستائر.. فقد لا يأتي وحده! ثم سحبت « عجيبة » وراءها!

في اللحظة التي نجحوا في الاختباء.. دار المفتاح في الباب.. وسمعوا صوت خطوات واثقة تدخل إلى الصالة.. توقفت الخطوات قليلاً، ثم غمر النور المكان.. وسمعت صوت « عنتر » وهو يزمجر: ما هذا؟ ماذا حدث؟ كيف تحطمت..؟

ولم يتم كلامه.. فقد وقع حادثان في وقت واحد.. تركت « هند » « عجيبة » من يدها، والذي فهم الدور المطلوب منه، فقفز على « عنتر » ليكرر ما فعله مع المجرم.. وفي نفس الوقت اندفع المقدم « عماد » ورجال الشرطة إلى الداخل؟

وصاحت « هند » مرحبة بعمها: في الوقت المناسب دائماً؟

• • •

انتهت اجراءات القبض على اللصوص.. والإفراج عن « أم السعد ».. في منتصف الليل تقريباً.. والتف الجميع حول فراش « جاسر ».. وهو يرقد وقد ربط ذراعه إلى رقبته.. ويبدو عليه الارهاق.. ولكن السعادة كانت تغمر وجهه.. ووقف المفتش « عماد » يحييهم ويشكرهم.. قال: إنكم لم تنقذوا « أم السعد » فقط، ولكنكم أنقذتم أيضاً ثروتنا القومية.. فقد اتسع نشاط « عنتر »

بعد أن باع جزءاً من المجوهرات وكون عصابة تعاونت مع بعض العصابات الدولية، والتي كنا نتابع آثارها.. وبدأوا في تهريب الآثار الثمينة إلى الخارج.. ولكن المغامرين الثلاثة وقفوا لها بالمرصاد!

واندفع « هشام » يحمل ثروة ضخمة وقال: هدية أمي.. إنها لا تصدق أن مجوهراتها قد عادت لها بعد كل هذه السنين!

سألت « هند » بقلق: وما هي أخبار « أم السعد »؟!

نظر إليهم « هشام » صامتاً ثم قال: تصوروا! إنها حزينة جداً، كانت تتمنى أن تمضي بقية عمرها في السجن أفضل من أن تعرف أن ابن شقيقها لص ومجرم!

قالت « هند »: لا بأس.. سوف تنسى مع الأيام.. وسوف تنسيها معاملتكم الطيبة هذا الابن الفاسد!

وصاح فيهم المفتش « عماد »: ألن يذهب أحد منكم إلى النوم؟.. نحن بعد منتصف الليل!

وضحكوا جميعاً وقالوا: إلى النوم.. ولكن.. لنحلم بمغامرة جديدة!!

المغامرة القادمة :

سر المهاجم المجهول..

اصطدم المغامرون الثلاثة ياسر وجاسر وهند.. بمهاجم مجهول..

يضرب ويختفي..

يحطم ويهرب..

يدمر.. ولا يترك وراءه أثراً.. ما عدا بصمته..

ماذا يفعل معه المغامرون الثلاثة..

هذا ما ستعرفه في المغامرة الجريئة القادمة.

هذه المغامرة

تأليف : عفاف عبد الباري

سر اللؤلؤة السوداء

في هذه المغامرة، اصطدم المغامرون الثلاثة جاسر وياسر وهند.. بالزمن..

ودخلوا معه في صراع..

٨ سنوات مرت على وقوع الجريمة..

وقيدت ضد مجهول..

ولكنهم لم يعترفوا بذلك.. كان عليهم أن يجدوا الفاعل.. المجرم..

وعندما وضعوا أيدهم عليه.. كانت المفاجأة..

هذه المفاجأة الغريبة.. التي تقرأ عنها في هذه المغامرة.



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

مغامرات
الجيل البوليسية
تصدر شهرياً

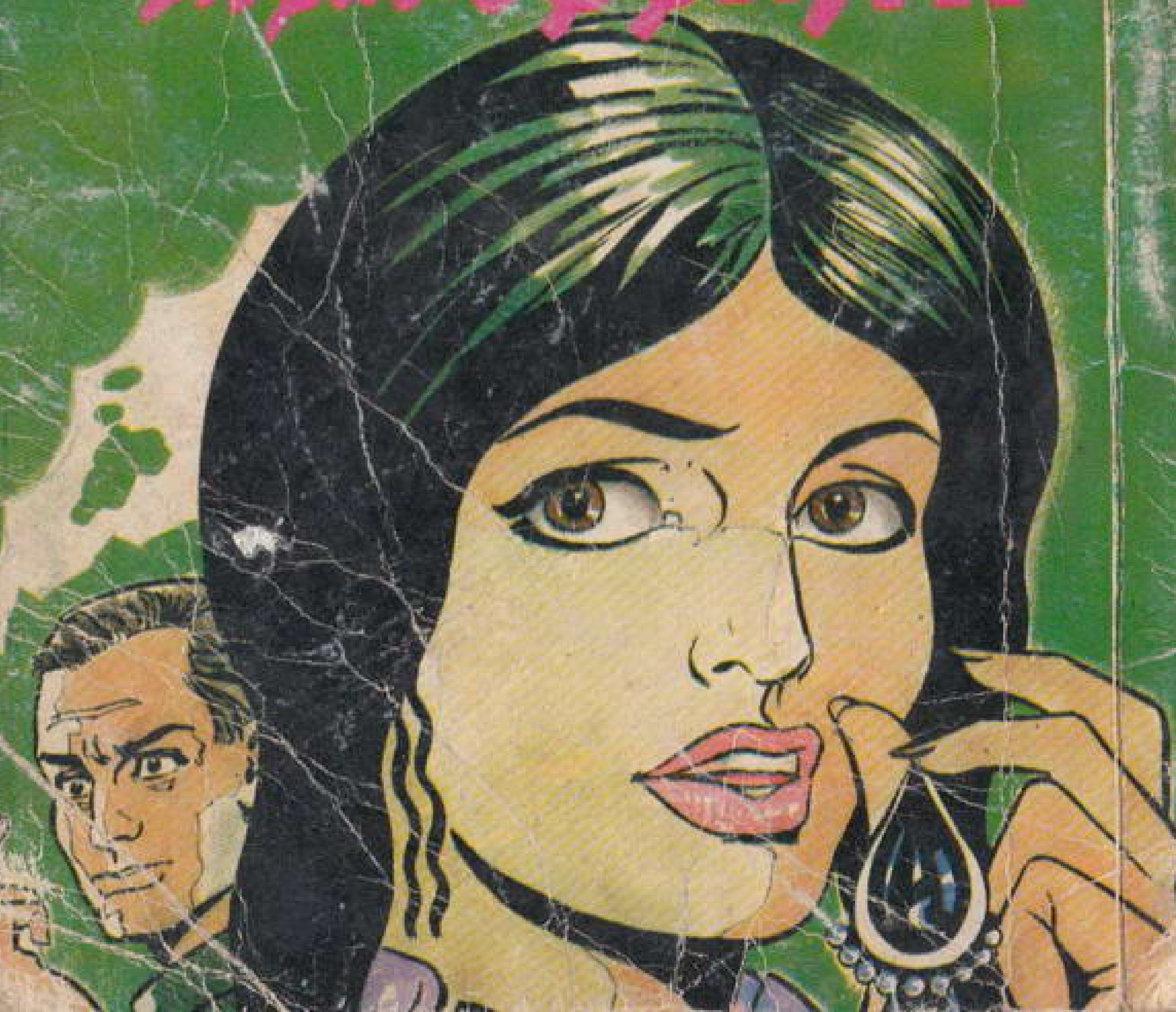
BLUE BIRD



١٥
مغامرات الجيل البوليسية

المغامرون الثلاثة فى.......

سر اللؤلؤة السوداء



مُغامرات الجيل البوليسيّة



المغامرون الثلاثة في......

سر اللؤلؤة السوداء

تأليف : عفاف عبد الباري

١٥

دار الجيل
بيروت . لبنان

الطبعة الأولى
١٩٨٨



دار الجيل
للطبع والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

ص.ب ٨٧٣٧ - برقيا: دارجيلاب - تلكس: ٤٢٦٤١ دار الجيل

من هـم المغامرون الثلاثة؟

انهم « جاسر » و « ياسر » وشقيقتهما « هند »

وذلك حسب ترتيب الأعمار، والسنة الدراسية في المرحلة الثانوية.

الأب : هو المهندس « مختار الديب »، ويطلق على نفسه لقب المهندس الطائر، فهو يطير من بلد عربي إلى آخر.. يعمل في شركة عربية للمقاولات ويساهم في بناء العالم العربي الكبير..

الأم : هي السيدة « نبيهة »، لبنانية الأصل. تنتقل مع زوجها في كل مكان، بعد أن وصل الأبناء الثلاثة.. إلى أعتاب الشباب وسن المسؤولية..

ويبقى من الأسرة.. واحد من أهم أفرادها.. هو العم أو المقدم « عماد الديب »، الضابط بالشرطة الدولية « الإنتربول ».. وهو الرجل الصامت.. الهادئ دائماً.. وكأنما هو « أبو الهول » كما يطلق عليه زملاؤه.. وهو الذي يقيم مع المغامرين الثلاثة في منزلهم الأنيق البسيط، والذي تحيط به حديقة واسعة.. في مدينة المهندسين.. هذا الحي الهادئ بمدينة القاهرة..

وتلتقي الأسرة كلها عادة في صيف كل عام.. في مصر، أو في أي بلد عربي يعمل فيه الوالدان..

ومن هذا الخليط العربي الصميم.. الأب المصري والأم اللبنانية جاء هذا السحر الذي يتمتع به المغامرون الثلاثة.. العيون اللبنانية الخضراء، والبشرة المصرية السمراء أضفت على المغامرين جمالاً وجاذبية توجت ما يمتازون به من ذكاء فوق العادة، مع قوة ملاحظة وسرعة تصرف، كانت وراء النجاح تلو النجاح في كل مغامرة يتعرضون لها..

وهذه واحدة من هذه المغامرات.. الغريبة الغامضة.


يَاسِر
جَاسِر

هند ... وعَجيبة



الأم السَيدة نبيهـة

العم المقدم عـمَـاد

الأب
المهَندس
مُختـار



بسم الله الرحمن الرحيم

ضد مجهول

قالت « هند » وهي تجلس إلى مائدة الإفطار في مواجهة شقيقها: « جاسر » لقد تأخر « ياسر » اليوم عن موعده.. فقد خرج في جولته الرياضية المعتادة، ورأيته وهو يجري دائراً حول المنزل أكثر من مرة، ولكنه لم يظهر منذ عشر دقائق!.

أجاب « جاسر » باسماً: اطمئني.. لا شيء يمكن أن يؤخر « ياسر » عن موعد الطعام أبداً..

واندفع الصوت المرح قافزاً إلى مقعده بينهما، وقال: معك حق.. إنها دقائق قليلة لن تسمح لكما بأن تستوليا على نصيبي من الطعام!

ضحك « جاسر » وقال: ألم أقل لك هذا..

قالت « هند »: ولكن بالرغم من ذلك.. فقد تأخرت بعض دقائق..

ياسر : هذا صحيح.. فقد قابلت اليوم صديقاً عزيزاً علينا جميعاً.. لم نكن قد رأيناه منذ مدة طويلة!

نظر « جاسر » إلى شقيقته في فضول وقال: ومن هو هذا الصديق؟

ياسر : هشام.. هشام أبو العزم!

هزت « هند » رأسها حائرة وقالت: أنا لا أذكر أحداً بهذا الاسم!

جاسر: ولا أنا!

انهمك « ياسر » ووضع المربى فوق الزبد.. ثم قال: إنكما تملكان ذاكرة ضعيفة جداً!

ظلا ينظران إليه في صمت.. ونظر إليهما في غموض.. ثم ضحك، وقال:

— الحقيقة أنني أيضاً لم أتذكره بسهولة.. لقد اضطر إلى أن يذكرني بنفسه بعد أن وقفنا لحظات ننظر إلى بعضنا.. وكل منا يحاول أن يتعرف على الآخر.. فنحن لم نر بعض منذ ٨ سنوات على الأقل!

صاح « جاسر »: آه.. تذكرت الاسم.. إنه جارنا في الفيلا المجاورة.. أليس كذلك؟!

ياسر : نعم.. هو بعينه!

هزت « هند » رأسها وقالت: إنني لا أذكره جيداً..

تدخلت « دادة عواطف » في الحديث.. وهي تضع أمامهم مزيداً من الطعام: لأنك كنتِ صغيرة يا عزيزتي.. فالحادث كله قد حدث منذ أكثر من ٨ سنوات!

وصاح الثلاثة: الحادث.. أي حادث!

جلست « دادة عواطف » وقالت باسمة: إنها حكاية قديمة.. ولكننا نعرفها بحكم الصداقة التي بين والدتكم وعائلة الدكتور أبو العزم.. وهو طبيب كبير.. ومن أسرة ثرية هو وزوجته، ولكنهم كانوا يحولون كل أموالهم إلى مجوهرات ثمينة، ويحتفظون بها في منزلهم.. ثم حدث..

وانتبه المغامرون الثلاثة إلى الحديث بكل جوارحهم.. فقد بدأت القصة تروق لهم.. فواصلت « دادة عواطف » الحديث وهي تعلم تماماً حبهم للمغامرات الغامضة.. قالت: وفي يوم من أيام الشتاء الباردة.. عاد الدكتور أبو العزم وزوجته من الخارج.. فاكتشفا سرقة كل الثروة التي يملكونها.. ووجدا صندوق المجوهرات فارغاً تماماً..

سألت « هند »: هل كانت الثروة كبيرة!

أجابت « دادة عواطف »: قيل إنها تصل إلى الملايين!

جاسر: وهل قبضوا على اللصوص!

هزت رأسها وقالت: أبداً.. لم يستطيعوا معرفة المجرمين..
وعجزت الشرطة عن الوصول إلى أي دليل يقودها إليهم..
وبعدها ترك الدكتور أبو العزم البلد كلها، وسافر مع عائلته إلى الخارج.

هند : ولكن هل كان الفاعل من داخل البيت أو كان غريباً عنه؟

وقفت «دادة عواطف» قائلة: هل تريدون التحقيق الآن في جريمة حدثت منذ سنوات طويلة.. أنا نفسي لا أذكر التفاصيل!

وتركتهم وخرجت من الحجرة.

انتقلوا إلى غرفة المعيشة.. وكانت «هند» مستمرة في تساؤلاتها.. قالت:

— كيف غاب عنا هذا اللغز، ولماذا لم نحقق فيه عندما حدثت الجريمة؟

جاسر: لأننا كنا أطفالاً.. لا نعرف شيئاً!

هند : وقد أصبحنا الآن كباراً بما يكفي.

ياسر : إذا كانت الشرطة قد عجزت في وقتها عن اكتشاف الفاعل، فهل ننجح نحن بعد كل هذه السنوات؟

هند : إننا في إجازة، وليس لدينا ما يشغلنا.. فلماذا لا نقوم بالمحاولة؟

جاسر: أي محاولة يا عزيزتي.. وكيف نبدأ بعد كل هذا الزمن؟!

قالت « هند » بإلحاح: نحاول معرفة الظروف التي وقع فيها الحادث.. والأشخاص المشتبه فيهم وما إلى ذلك.. ربما استطعنا بالتفكير الهادئ أن نصل إلى ما غاب عن الناس في ذلك الوقت!

جاسر: ولم لا؟ كما تقولين نحن في الإجازة.. فلنحاول أن نجعلها لعبة من ألعاب الذكاء!

ياسر : حسناً.. كيف نبدأ؟

جاسر: بدعوة صديقك « هشام ».. ومنه نحاول معرفة كل التفاصيل!

ياسر : لا تنس أنه كان صغيراً.. في مثل عمرنا.. فهو لا يعرف الكثير!

جاسر: ولكنه بالتأكيد سمع الكثير من التفاصيل مع مرور الزمن، فليس من المعقول أن تنسى العائلة هذا الحادث بسهولة!

ياسر : على كل حال.. استعدوا! فقد قمت فعلاً بدعوة « هشام » إلى الغداء معنا اليوم!

قفزت « هند » قائلة: رائع.. إنها الخطوة الأولى..

وأسرعت تلحق « بدادة عواطف » في المطبخ، وأطلق « جاسر » ضحكة عالية وهو يقول: سوف تلاحق « دادة عواطف » بالأسئلة حتى تعرف كل ما تريد!

قال « ياسر »: أما أنا فأعرف ما أريد.. أعرف أن طعام الغداء سوف يكون ممتازاً اليوم، لأن لدينا ضيفاً عزيزاً؟

تنهد « جاسر » وقال: مرحباً به.. ومرحباً باللغز القديم!

• • •

كانت مائدة الغذاء حافلة بما لذ وطاب من أصناف الطعام.. فقد كانت « دادة عواطف » تعرف جيداً شوق الغائبين إلى الطعام المصري.. فصنعت منه أشكالاً كثيرة وكان « ياسر » أسعد الجميع، بالمائدة الفاخرة..

وعندما انتقل الأولاد جميعاً إلى حجرة الطعام، كان التعارف بينهم وبين ضيفهم قد تم تماماً.. واستعادوا مع بعضهم ذكريات الطفولة السعيدة، وضحكوا جميعاً على الأحداث التي كانت تحدث معهم وهم يلعبون على السطح الواسع لفيلا الدكتور أبو العزم.. والمقالب الصبيانية البريئة التي كثيراً ما قاموا بتدبيرها إلى « دادة أم السعد » وهي مربية « هشام ».. صديقهم القديم الجديد..

وسألت « هند » فجأة: هل ما زالت هذه السيدة الطيبة في خدمتكم؟





قال « هشام »: طبعاً.. إنها فقط التي صاحبتنا في هجرتنا إلى الخارج، فهي وحيدة وليس لها أهل على الإطلاق، وتعيش عندنا منذ زمن طويل، فقد كانت مربية والدي نفسه، وليست مربيتي فقط!

جاسر: وهل كانت موجودة في المنزل ليلة حادث السرقة؟!

تنهد « هشام » وقال: ياه.. إنها مدة طويلة.. والمدهش أنها كانت في المنزل يوم الحادث.. وكانت الوحيدة الموجودة فيه؟

ياسر: غريبة.. ألم تقبض عليها الشرطة؟

هشام: طبعاً لا.. لقد تصدى والدي لذلك بكل قوته.. فهو يعرفها، ويعرف درجة الأمانة التي تتحلى بها. ورفض أن يوجِّه لها أي اتهام..

جاسر: إني أذكر أنه كان لديكم عدد كبير من الخدم.. أين كانوا هذه الليلة؟

هشام: لاحظوا أن معلوماتي كلها، نقلاً عن أحاديث سمعتها فيما بعد، فأنا لا أذكر شيئاً واضحاً عن الحادث.. وقد علمت أن يوم السرقة كان هو يوم الإجازة الأسبوعية للخدم جميعاً.. أما « دادة أم السعد » فهي لا تخرج لأنه ليس لها مكان إلا بيتنا!

جاسر: وهل تأكدتم من المكان الذي كان فيه الخدم في تلك الليلة؟

هشام: طبعاً.. لقد قامت الشرطة بكل التحريات المطلوبة، وثبت أن كل واحد منهم، وهم الجنايني والشغالة والطباخ ومساعده، كانوا في أماكن بعيدة. بل إن الشغالة وهي في الوقت نفسه زوجة الطباخ.. كانا في زيارة لأقارب لهما في مدينة بنها!

هند : في هذه الحالة لم يبق إلا أم السعد.. كيف لم تشعر باللصوص وهم يقومون بالسرقة؟!

هشام: كانت مستغرقة في النوم.. وقد أكد أبي أقوالها. فقد وجد صعوبة في إيقاظها عندما عاد إلى المنزل واكتشف حادث السرقة! ثم إنها كما تعلمون كانت تنام في حجرتها بأعلى الفيلا!



هند: وهكذا قيدت الجريمة ضد مجهول!

هشام: هذا صحيح..

جاسر: ولكني لا أعتقد أنها ستظل كذلك؟

سأل هشام مندهشاً: ماذا تقصد؟

ضحك المغامرون الثلاثة.. ثم قال « ياسر »: اسمع يا هشام. لقد حدث الكثير منذ سفرك.. فقد أصبحنا من المغامرين الممتازين، لا نعجز أمام أي لغز.. وسوف أقص عليك حكايتنا..

وبدأ « جاسر » يشرح لصديقهم هشام مغامرات المغامرين الثلاثة، وما صادفهم من الغاز وقضايا عويصة.. وكيف تغلبوا عليها..

وكان « هشام » يستمع لهم في ذهول.. لم يتصور أن هناك من هم في هذه الجسارة وهذا الذكاء..

أخيراً.. قالت « هند »: والآن.. سوف نحاول أن نحل لغز سرقة مجوهراتكم!

بحماسة شديدة هتف « هشام »: ستكون مفاجأة مدهشة لأمي وأبي.. وأنا على استعداد تام لمساعدتكم في كل ما تطلبون..

ياسر : هناك سؤال هام.. هل ستمكثون هنا وقتاً طويلاً؟

هشام: لقد حضرنا للبقاء.. لن نسافر مرة أخرى.. فقد قرر أبي أن يقيم مستشفى في الدور الأول من الفيلا، على أن نحول حجرات السطح والتي كانت مخصصة للخدم إلى دور جديد نلحقه بالدور الثاني من المنزل وسوف أقيم فيه، وأضع مكتباً للمذاكرة في واحدة من حجراته..

جاسر: رائع.. ما رأيك في أن نقوم بمساعدتك في ترتيب هذه الحجرات، وإعدادها لإقامتك.. سوف يتيح لنا ذلك فرصة للحديث مع « دادة أم السعد » ولمعاينة مكان الحادث!

هشام: أشكركم.. ستكون مساعدتكم لي خدمة لا أنساها.. فلم يكن أبي عازماً على إحضار من يساعدني.. فقد تعلمنا

في الخارج أن يقوم كل فرد بالعمل وحده دون الاستعانة بالعمال على قدر ما يمكن..

ياسر : رائع.. ومتى نبدأ؟

هشام: غداً.. إذا سمحتم فسوف يأتي أحد باعة « الروبابيكيا » لشراء الأثاث القديم وبعد ذلك نبدأ نحن عملنا!

تنهدت « هند » في راحة وقالت: رائع.. غداً.. نبدأ الخطوة الأولى!

° ° °



المفاجأة

وقف المغامرون الثلاثة في شرفة منزلهم منذ الصباح الباكر، في انتظار إشارة من صديقهم الجديد « هشام ».. وقد استعدوا للعمل الشاق بارتداء ملابس العمال الزرقاء والأحذية الخفيفة.. وأخذوا يتبادلون الضحكات حول منظرهم، والأعمال المنزلية التي سيقومون بها.. حتى سمعوا صوت « هشام » وهو يقفز بنشاط في ممر الحديقة متجهاً إلى الباب..

قابلوه بترحاب واستعداد.. وساروا وراءه وهو يقودهم ضاحكاً مثل قائد العمال الماهر.. ولم تمض دقائق حتى كانوا قد وصلوا إلى سطح المنزل.. وقف « جاسر ».. ونظر إلى أبواب الحجرات المفتوحة وقال: ياه! لقد ترك الزمن كمية من التراب تحتاج إلى أيام لتنظيفها!

أجاب « ياسر »: ونحن لها!



قالت « هند »: ولكن الحجرات خالية تماماً.. هل تخلصتم من الأثاث الذي كان موجوداً فيها؟

هشام: نعم! منذ الأمس، وبائع « الروبابيكيا » يقوم بنقلها، وانتهى من عمله هذا الصباح قبل أن أحضر إليكم مباشرة!

هند : حتى حجرة أم السعد خالية؟ هل بعتم أثاثها أيضاً!

هشام: فعلاً، لقد أصر أبي على أن تقيم معنا في الدور الأول، فالحقيقة أنها قد أصبحت كبيرة في السن بدرجة لا تسمح لها بالصعود والهبوط كما كانت في الماضي!

جاسر: يبدو أن والدك يحبها كثيراً!

هشام: كلنا نحبها، فهي طيبة وأمينة، ونعتبرها فرداً من العائلة!

قالت « هند » وهي تجذب بعض أدوات التنظيف: على كل واحد منا أن يختار حجرة لينظفها، وسأختص أنا بحجرة أم السعد!

قال « ياسر » وهو يتوجه إلى حجرة أخرى: طبعاً! لا بد أنها أنظف حجرة في المكان كله!

وبدأ الوقت يجري، وكل منهم منهمك في تنظيف الجزء الذي اختاره، وكان « هشام » يمر بين وقت وآخر، ليقدم لهم بعض المشروبات والحلوى.. وقال « جاسر » ضاحكاً: بما أن الأمر كذلك، فسوف نقوم بدهان جدران الغرف أيضاً!

وكاد النهار ينتصف، عندما اقتربوا من الانتهاء من العمل، ووقفت « هند » تنظر إلى الحجرة النظيفة نظرة رضا وإعجاب.. ولكنها لاحظت بعض البقايا في أحد الأركان.. اتجهت إليه وفي يدها فرشاة وجاروف، وأخذت تنقل التراب إلى الجاروف عندما أحست بأن وسط الأتربة شيئاً لامعاً.. مدت أصابعها.. وتصورت أنها قطعة من الزلط الصغيرة.. نظفتها بقطعة نظيفة من القماش.. وإذا بها تفاجأ بما لا يخطر لها على بال.. وجدت في يدها لؤلؤة سوداء كبيرة الحجم، رائعة البريق، ومرصعة ببعض قطع من الماس. كانت تمثل فردة من قرط ثمين..

انتابتها الدهشة.. واجتاحتها الأفكار.. أسرعت إلى الخارج، ونادت على « هشام » بصوت عال.. جعل شقيقيها يسرعان إليها..



قالت: ما الذي كان موجوداً من الأثاث في هذا الركن؟

أخذ « هشام » يفكر قليلاً ثم قال: هنا.. آه.. كنبة، أعتقد ذلك، لا، أنا متأكد من هذا، كنبة صغيرة كانت دادة أم السعد تحتفظ بها، ليجلس عليها من يزورها في حجرتها!



هند: هل لديكم قائمة بالمجوهرات المسروقة؟

جاسر: لماذا؟ هل وجدتها؟

هند: لا.. ولكني وجدت هذه القطعة.. وأعتقد أنها ثمينة جداً، ويمكن أن تكون من المجوهرات المسروقة!

هشام: تعالوا نعرضها على والدتي.. ونسألها!

هند: انتظر! ليس الآن لا نريد لأحد أن يعرف شيئاً عن بحثنا..

حتى إذا كان اللص موجوداً، فسوف يأخذ حذره.. ابحث لنا فقط على قائمة المسروقات!

أسرع هشام يقفز السلالم قفزاً إلى منزلهم.. بينما جلس المغامرون الثلاثة في أماكنهم وأخذوا يدققون النظر في اللؤلؤة السوداء..

قال « ياسر »: ولكن! أليس غريباً أن نجدها في حجرة « أم السعد ». مع تأكيد الدكتور عزمي على براءتها!

هند : لا تسبق الأحداث.. انتظر، ربما لم تكن من المسروقات!

وعاد هشام وهو يلهث، وفي يده ورقة كبيرة، أخذتها « هند » في لهفة، وأخذت تقرأ وصفاً لقطع المجوهرات المسروقة.. وخفت صوتها ثم توقف وهي تقول:

— قرط من اللؤلؤ الأسود، مرصع بالماس الثمين!

ياسر : هذا دليل لا يقبل الشك.. إن اللصة هي « أم السعد »!

هند : لا داعي لأن نلقي بالتهم هكذا.. يكفي أن نقول إن المسروقات كانت في حجرتها!

ياسر : وما الفرق؟!

لم يرد عليه أحد.. كان الموقف دقيقاً.. إثارة الشبهة الآن على الدادة العجوز سوف تزعج العائلة كلها! وسأل « جاسر »: ماذا سنفعل؟

ترددت « هند » قليلاً ثم قالت: هل من المعقول أن تترك « أم السعد » المجوهرات في هذه الكنبة لمدة ثماني سنوات كاملة؟ لماذا سرقتها إذن؟



جاسر: إذا كانت المجوهرات ما زالت في الكنبة.. فيجب أن نستعيدها فوراً!

هشام: إنني أعرف بائع « الروبابيكيا » الذي اشتراها.. إن له محلاً صغيراً في شارع سليمان جوهر بالدقي!

هند : سوف نتأكد لو أمكننا استرجاع هذه الكنبة!

جاسر: هيا بنا.. لا داعي لأن نضيع الوقت.. سوف نستبدل ملابسنا، ونذهب إلى بائع « الروبابيكيا » على الفور!

هشام: هل أخبر أمي بالعثور على « فردة الحلق »؟

جاسر: ليس الآن! انتظر حتى نعود!

لم يستغرق تغيير الملابس سوى دقائق قليلة من المغامرين الثلاثة.. أصبحوا بعدها على أتم استعداد لمصاحبة « هشام » إلى محل بائع « الروبابيكيا ».. وكان حي الدقي أقرب الأحياء إلى حيث يقيمون، في مدينة المهندسين، فأسرعوا يركبون دراجاتهم، وتسابق الأربعة إلى وجهتهم.. وإن كانوا صامتين، لم يتبادلوا الحديث.. خوفاً من ثبوت التهمة على « أم السعد »!

ونظر بائع « الروبابيكيا » إلى الأربعة الذين وقفوا أمامه مندهشاً.. وكان « هشام » يشير إلى بعض الأثاث القديم المتناثر في المكان وهو يقول: هذا بعض الأثاث الذي اشتراه منا!

جاسر: ولكني لا أرى الكنبة!

ووقف بائع « الروبابيكيا » غاضباً وهو يسألهم: ماذا تريدون؟ من أنتم؟ وأي كنبة تتحدثون عنها؟

قال « هشام »: لا تغضب يا سيدي! إنني ابن صاحب الفيلا التي اشتريت منها هذا الأثاث اليوم صباحاً.. وكان ضمن المشتريات كنبة صغيرة تملكها دادة عجوز طيبة عندنا، وهي متمسكة باستعادتها.. وأظن أنك تعرف كيف يحتفظ

كبار السن ببعض الأثاث الذي يمثل لهم ذكريات خاصة! فهل تقدم لنا جميلاً، وتسعد السيدة المسكينة بأن تعيد لها كنبتها!

وأعجب المغامرون الثلاثة بحديث « هشام » المقنع، ونظروا إلى الرجل في رجاء، ولكن الرجل هز رأسه آسفاً وقال: يا ليت، كان يسعدني أن ألبي طلبكم، ولكن الحقيقة أن رجلاً جاءني قبل شراء هذه البضاعة، وطلب هذه الكنبة بالذات.. وكان ينتظرني عندما حضرت « بالروبابيكيا »، فاشتراها مني فور وصولي..

نظروا إلى بعضهم في ذهول.. وسأله « جاسر »: هل تعرف هذا الرجل؟ هل تعرف أين يقيم!

وبشهامة شديدة.. نادى بائع « الروبابيكيا » على أحد صبيانه وسأله عن العنوان الذي حمل الكنبة إليها مع الرجل.. فقال الصبي على الفور: أوصلتها له إلى منزله في « بولاق »!

وذكر لهم اسم الشارع.. ورقم المنزل!

شكره الجميع بكل حرارة، وبدون تفكير، وجدوا أنفسهم يتجهون إلى طريق الكورنيش في اتجاه حي بولاق..

ولم يكن الأمر سهلاً هذه المرة.. حي بولاق من الأحياء الشعبية القديمة، بها عدد كبير من الحارات الضيقة والمتشابهة.. ولم يكن من السهل عليهم الوصول إلى العنوان المذكور.. ووقفوا أمام الحي

حائرين.. لا يعرفون من أين يبدأ البحث عن المنزل المطلوب..



وتحرك ياسر فجأة.. وقف بجوار طفل صغير يبيع بعض الخضراوات وسأله ببساطة إذا كان من أهل الحي.. وأجابه الطفل برجولة: طبعاً!

فابتسم له «ياسر» ابتسامة واسعة، فبادله الولد بابتسامة مشابهة، فسأله على الفور عن العنوان، أخذ الصغير يفكر قليلاً، ثم أشار إلى حارة قريبة، وقال له: إن العنوان الذي تطلبه في أحد الحوارى المتفرعة من هذه الحارة!

اطمأن «ياسر»، الآن هم يعرفون طريق البداية!

سار الركب كله في الحارة الضيقة، وكان الناس ينظرون إليهم

في دهشة، لأن أهل الحي يعرفون بعضهم تماماً، وكان من الواضح أنهم غرباء عن المكان..

وطال الوقت.. ومضى الزمن.. وهم يتنقلون من حارة إلى أخرى، حتى اقتربت الشمس من المغيب، ونظر « ياسر » إلى مطعم صغير يبيع الفول لسكان الحي، وقال: لن أتحرك خطوة واحدة قبل أن أتناول طعام الغداء!

ووافقوا على كلامه في صمت.. فلم يكن في يديهم شيء آخر!

والتفوا حول المائدة الصغيرة الوحيدة.. وصفق « ياسر » بيديه منادياً على عامل المقهى، الذي أتى إليهم مبتسماً وهو يمسك بفوطة نظيفة يمسح بها المائدة أمامهم!

وطلبوا كمية من الطعام.. فقد كان هذا الأكل الشعبي اللذيذ له شكل مغر وهو في حيه الأصلي..

وأخذ الصبي ينقل إليهم أطباق الفول النظيفة الشهية.. وسأله « جاسر » مبتسماً إذا كان يعرف شارع الشيخ فضل؟

أجاب الولد بابتسامة: إنه هذا الشارع الذي تجلسون فيه! فعاد يسأله أين يقع المنزل رقم ١٧..

أشار بيده إلى المنزل المواجه وقال: هذا المنزل! وصاحبه هو المعلم « إمام »!

نظروا إلى بعضهم غير مصدقين.. ثم انفجروا ضاحكين! ولم يعرف الولد سر ضحكهم.. ولكنه شاركهم بابتسامة واسعة!

عندما انتهوا من طعامهم.. دفع « جاسر » ثمن الطعام، ثم نفح الولد بقشيشاً كبيراً.. جعله يصر على أن يقدم لهم أكواب الشاي اللذيذ بالنعناع!

قال « جاسر »: سوف أذهب إلى المعلم « إمام » في الوقت الذي يعدون لنا فيه الشاي!

وأسرع يعبر الحارة الضيقة في خطوات معدودة، وطرق باب المنزل القديم بهدوء وفي الحال، فتح الباب على مصراعيه، ووقف في المدخل رجل كبير الحجم، غليظ تقاطيع الوجه.. كث الشارب.. وسأل بخشونه: ماذا تريد؟

شعر « جاسر » برعدة من منظر الرجل، وأخذ يشرح له قصة الكنبة، والتي تحتاج إليها السيدة العجوز!

صاح الرجل في وجهه: هل تقلق راحتي لتسأل عن الكنبة القديمة.. إنني لم أشترها لنفسي، لقد طلب مني صديق قديم أن أشتريها له.. وعندما أحضرها الولد إليّ أخذها صاحبها ومضى..

سأله « جاسر » بهدوء وأدب شديد: ألا تعرف أين ذهب بها صديقك هذا يا سيدي؟



نظر الرجل إليه بتردد، كان الأدب الذي خاطبه به « جاسر » يمنعه من استعمال العنف.. قال: لا أعرف عنوانه.. إنه نجار في منطقة بين السرايات!

وصفق الباب في وجهه..

عاد « جاسر » إلى « هشام » وشقيقيه.. الذين كانوا يتابعون ما يجري.. وزحفت خيبة الأمل لتطغى على وجوههم جميعاً..

قال « هشام » أخيراً: ليس من المعقول أن نبحث في منطقة بين السرايات كلها.. إنها منطقة واسعة، وكبيرة، وبها عشرات من محلات النجارة!

ولم يجبه أحد.. فقط قاموا من أماكنهم، وبدأ الركب الحزين يحاول العودة إلى الطريق العام.. وهم يجرون أذيال الخيبة!

• • •

بدأ اليوم يقترب من نهايته، عندما ركبوا دراجاتهم، وبدأوا رحلة العودة، عبروا الكوبرى الذي يفصل بين حي بولاق وحي الزمالك.. ثم كوبرى الزمالك نفسه ليتجهوا إلى طريق بيتهم، وهم غارقون في صمت تام.. وأخيراً قال « هشام » حزيناً: لست أدري كيف أواجه أمي وأبي وأنا أخبرهما بما حدث!

قالت « هند »: كنت أفضل أن نؤجل مكاشفتهما حتى نقوم بخطوة أخرى!

ياسر : ولكن، ما هي هذه الخطوة الأخرى؟ أن نبحث في منطقة بين السرايات كلها عن نجار مجهول!

جاسر: ولم لا.. إن « هشام » يعرف شكل الكنبة، فلماذا لا نقوم غداً بمحاولة أخيرة، نمر بها على النجارين هناك.. ربما استطعنا أن نفعل شيئاً قبل اتهام السيدة المسكينة؟ أليس من المحتمل أن اللص كان شخصاً غريباً، سقطت منه هذه اللؤلؤة؟!

هشام: تصور معقول!

ياسر : على كل حال، أنا أوافق على رأيكم.. يجب أن نفعل كل ما في وسعنا، قبل أن نتهم سيدة قد تكون بريئة!

ظهر النشاط عليهم ثانية.. وعادت الابتسامة إلى وجوههم.. وأخذوا يقطعون الطريق، وهم أكثر حيوية من قبل!

وعندما وصلوا إلى الشارع الذي يقيمون فيه، اتفقوا على أن يؤجل « هشام » الخبر عن والديه حتى اليوم التالي!

وعادوا إلى بيوتهم.. كانوا يجرون أقدامهم من التعب والإرهاق.. ولكن بصيصاً من الأمل كان ما يزال يدور في أفكارهم..

وبعد عشاء شهي.. جلسوا غارقين في أفكارهم قليلاً، قبل أن يتجهوا إلى أسرتهم ليستغرقوا في نوم عميق..

• • •

في الصباح التالي، بدأوا بحثهم مبكرين.. ركبوا سيارة النقل العام إلى حي بين السرايات.. ولم يكن شكلهم غريباً في هذا الحي الواسع.. فهو معروف بأنه منطقة مفضلة لسكنى الطلبة، حيث يقع قريباً من منطقة الجامعة، ولذلك كان من العادي أن يدور الشباب بين محلات النجارة بحثاً عن بعض الأثاث لمساكنهم..

وهكذا قضى المغامرون الثلاثة.. ومعهم صديقهم « هشام » أكثر من أربع ساعات وهم يدورون بين الشوارع والحوارى، يدققون النظر في الأثاث القديم المعروض هنا وهناك.. وكثيراً ما تجرأ « ياسر » وسأل بعض أصحاب المحلات عن كنبة بالمواصفات التي يطلبونها.. ولكن بحثهم الطويل، لم يسفر عن شيء!

وقال « جاسر »: نحن مثل الذي يبحث عن إبرة وسط كوم من القش..

وعلق « هشام » قائلاً: إنها محاولة يائسة.. وفاشلة.. نبحث عن شخص لا نعرف له اسماً.. ولا عنواناً!

ردت « هند »: لقد كانت محاولة للقيام بواجبنا على كل حال!

مرة أخرى بدأوا في العودة.. ولم يكن هناك مفر من القيام بالخطوة التالية!

هشام: لا بد أن نخبر أمي وأبي بالقصة كلها!

جاسر: سوف نفعل ذلك، يجب ألا نخفي عثورنا على قطعة المجوهرات أكثر من ذلك!

ولم ترد هند.. كانت تشعر بالحزن والأسف على السيدة العجوز، والتي سيوجه إليها الاتهام على الفور..

• • •

عندما جلسوا أمام والدة « هشام ».. كان والده غائباً.. وأخرجت « هند » القرط الذي عثروا عليه، اتسعت عينا الأم من الدهشة.. وصاحت كمن أصابها الجنون.. قرطي.. حلقي.. الأسورة.. كيف عثرتم عليه؟! أين؟ متى؟!

وبصوت حزين، قصت عليها « هند » القصة منذ البداية.. كيف وجدوه في مكان الكنبة في حجرة أم السعد.. وكيف بذلوا الجهود للعثور على الكنبة نفسها بدون جدوى!

صرخت الأم غاضبة، غضبت لأنهم لم يخبروها منذ البداية.. وأسرعت إلى التليفون تطلب الشرطة.. وتصر على الاتصال بالضابط المسؤول.. وفي عبارات قصيرة غاضبة، حدثته بالقصة كلها، فوعدها بالحضور فوراً!

لم تشعر « أم السعد » بما كان يحدث.. كان سمعها قد ضعف بفعل السنين، وكانت مفاجأة لها وهي ترى جنود الشرطة يدخلون إلى المنزل..

استمع الضابط إلى القصة كلها.. وصعد مع الأولاد إلى الغرفة العليا.. ورأى المكان الذي عثروا فيه على القرط الماسي.. ثم عاد ليواجه « أم السعد » بهذا الاكتشاف، وتغير وجهها.. أصابها ذهول عنيف.. ونظرت إليهم حائرة.. وهي تتساءل.. أنا أنا.. بعد كل هذا العمر.. لصة.. أنا لصة!!!

واندفعت الدموع إلى عينيها.. انهمرت كالمطر..

وشاركتها « هند » دموعها وهي ترى الضابط يتقدم، ويضع القيود حول يديها.. ولم تستطع المغامرة الصغيرة أن تنسى نظرة الدهشة



والحزن في عيني «أم السعد» وهي تنظر خلفها إليهم.. كانت نظرتها تحمل إليهم رسالة حزينة.. تقول أنا بريئة.. أنقذوني!

° ° °



الشك والاتهام

لم تستطع « هند » أن تخفي دموعها فور خروج « أم السعد » إلى مصيرها المجهول في السجن.. أخذت تبكي في صمت في أول الأمر، ثم اندفعت في البكاء بصوت عالٍ.. وقالت إنها تشعر شعوراً عميقاً بأن هذه السيدة المسكينة.. امرأة بريئة.. وإنها شخصياً تعتبر مسؤولة عما حدث لها، فهي التي عثرت على القرط ذي اللؤلؤة السوداء..

وساد الصمت بين شقيقيها.. لم يكن أحد يجرؤ على أن يؤكد التهمة أو ينفيها.. ولم يكن بوسع أحد منهما أن يقول شيئاً، قد يزيد من ثورة هند وانفعالها..

أخيراً قال « جاسر »: لننتظر حتى نرى ماذا سيفعل والد « هشام »، عندما يعود من الخارج، ويعلم بما حدث « لأم السعد »!

قال « ياسر »، الذي كان جالساً بجوار النافذة: لقد رأيته يدخل

إلى المنزل منذ قليل، كان متعجلاً يكاد يقفز من السيارة..
لا بد أن أحداً قد استدعاه..

جاسر: بعد قليل سيأتي هشام ويخبرنا بما حدث!

ولكن قبل أن ينتهي من كلامه.. أخذ « ياسر » يذيع مشهداً يراه أمامه وكأنه يذيع مباراة لكرة القدم: إني أرى الدكتور « أبو العزم » وهو يخرج من المنزل.. إنه يخرج غاضباً، لقد صفق الباب وراءه بشدة.. واندفع إلى سيارته.. ليست هذه عادته، فهو يقود بسرعة غير عادية.. إنه اختفى من الطريق..

قالت « هند » بصوت هامس: ليس هذا موعداً مناسباً للسخرية!

ياسر: ولكني أقول الحقيقة، فهذا ما حدث فعلاً، ثم.. انظري، ها هو ذا « هشام ».. إنه قادم إلينا.. وسوف يخبرنا بما حدث!

ولم تمض لحظات، حتى كان « هشام » يجتاز باب الحديقة متوجهاً إلى الداخل، وكان الباب الداخلي مفتوحاً، أشاروا له من النافذة مرحبين، فاتجه إليهم على الفور.. كان الحزن بادياً على وجهه وآثار دموع أيضاً في عينيه.. وقال: لقد حدث ما كنت أتوقعه، فقد غضب أبي غضباً شديداً، وأكّد أنه لا يتصور أن تكون « أم السعد » هي اللصة، ربما كان أحد من اللصوص قد أخفى المسروقات في كنبتها متأكداً أننا لن نفتشها.. ولذلك فقد اتجه

غاضباً لاستشارة أحد المحامين الكبار.. حتى يتمكن من إنقاذ الدادة البائسة!

قالت « هند » بتردد: ولكن والدتك توافق على أنها السارقة، وربما كانت شهادتها هي التي تثبت التهمة على « أم السعد »!

أجاب « هشام » بعد لحظات: حتى أمي تشك في ذلك، إنها لا تتصور أن هذه السيدة التي عاشت معنا طوال عمرها، ومع جدتي وجدي أيضاً.. تكون هي التي تخون المنزل الذي قضت فيه حياتها، شبابها وشيخوختها.. ولكن أمي أيضاً تعترف بما تراه أمامها.. إن وجود قطعة المجوهرات في حجرتها تثير حولها الشك بالتأكيد!

عادت « هند » تبكي وتقول: ألم أقل لكم إنني السبب، لولا عثوري على القرط الماسي، ما وجه أحد تهمة « لأم السعد »!

هتف « جاسر »: وما العمل الآن. هل نستمر في البكاء ولا نقوم بحركة واحدة، نساعد بها في الإفراج عنها؟!

ياسر: وماذا تريد منا أن نفعل؟

هشام: إنني على أتم استعداد لعمل كل ما تطلبون مني!

« ياسر » وهو ينظر من النافذة: إن والدتك تخرج أيضاً من المنزل يا هشام!

هشام: إن لديها موعداً مع طبيب الأسنان!

ووقفت « هند » فجأة وقالت: إذن فالبيت الآن خالٍ تماماً.. هل تقضي والدتك وقتاً طويلاً عند الطبيب؟!

هشام: نعم! فهو في مكان بعيد، لن يقل الوقت عن ساعة ونصف!

هند : لقد قلت إنك على استعداد لعمل أي شيء.. هل يمكنك أن تدعونا إلى بيتك؟

نظر إليها « هشام » بدهشة وقال: وهل أنتم محتاجون إلى دعوة؟

هند : لا.. ولكني أريد أن أقوم بتفتيش حجرة أم السعد.. فهل يمكن ذلك؟

هشام: طبعاً.. هيا بنا.. مع العلم بأن الشرطة قد فتشتها.. ولم تجد شيئاً!

هند : هذا صحيح.. ولكن لنا عين تختلف عنهم!

ولم يعرف واحد من الأولاد الثلاثة ماذا تريد « هند » أن تفعل.. ولكنهم اضطروا إلى موافقتها على رأيها، فقد تجد ما يجعلها تستعيد هدوء أعصابها!

وبعد دقائق، كانوا قد انتقلوا إلى المنزل المجاور.. هناك إلى بيت « هشام »، الذي قاد « هند » على الفور إلى حجرة « أم السعد ».. وكانت الحجرة في حالة من الفوضى.. وقد تبعثر كل ما في أدراج الدولاب.. والمنضدة وغيرها، بعد أن فتشتها الشرطة شبراً شبراً..

سألها « جاسر » بتردد: ما الذي تبحثين عنه؟!

هند : لست أدري.. ولكني أبحث عن شيء من الممكن أن يقودنا إلى تبرئتها!

قال « ياسر »: أو إدانتها!

نظرت إليه نظرة قاسية.. فاضطر أن يصمت فوراً!

أخذت تنظر حولها بدقة، وهي تعيد متعلقات السيدة العجوز إلى مكانها، وترتب لها الغرفة.. وجدت حقيبة يدها القديمة وقد تناثرت محتوياتها على السرير، بعض الأوراق القديمة.. وعديد من الصور، كانت كلها « لهشام » في مراحل عمره المختلفة..

جلس « ياسر » على حافة السرير.. وأخذ ينظر إلى الصور ويعلق عليها ضاحكاً.. و « هند » تنظر إليه في غضب.. وفجأة صمت « ياسر » وهو ينظر إلى صورة ما.. وقد ظهرت على وجهه دهشة شديدة!

مد يده إلى « هشام » بالصورة وهو يقول: لا أعتقد أن هذه الصورة لأحد من عائلتكم؟

نظر إليها « هشام » بدهشة أشد، وقال: طبعاً لا.. ترى لماذا تحتفظ بها « أم السعد ».. ولمن تكون هذه الصورة؟!

جذب « جاسر » الصورة من « هشام ».. نظر إليها، ثم نظر إلى المكتوب خلفها.. وامتدت الرؤوس تحاول معه قراءة بعض الكلمات القليلة.. وأخيراً استطاعوا أن يحلوا رموز الخط الضعيف، كان اسماً كاملاً.. عنتر السيد محيش..

سألت « هند »: هل كانت « أم السعد » متزوجة؟!

هشام: أبداً.. على قدر علمي..

جاسر: هل تعرف اسمها بالكامل..؟

فجأة قالت « هند » وهي تقرأ ورقة في يدها: أنا أعرف أن اسمها أم السعد محيش! فهذه هي شهادة ميلادها..

جاسر: إذن هذا الرجل هو ابن شقيقها!

ياسر: معقول.. فقد يكون لها شقيق اسمه السيد محيش.. وبذلك يكون عنتر هذا هو ابن شقيقها!

هشام: غريبة!

نظروا إليه متسائلين.. قال: إنني لم أسمع أبداً أن لها أقارب، ولم يحدث أن زارها أي شخص في حياتي!

هند : ولكن الحقائق تقول غير ذلك.. ربما كان هذا أحد أفراد عائلتها التي تعيش بعيداً عنها!

جاسر: ولكن وجود هذه الصورة، يثبت أن لها صلة بصاحبها، فهو يبلغ من العمر أكثر من ثلاثين عاماً كما يبدو عليه.. فإذا كان ابن شقيقها، فلا بد أنه قد أعطاها هذه الصورة منذ زمن ليس ببعيد!

هند : هذا صحيح يا « جاسر »!

ياسر : ما رأيك يا « هشام ».. هل تستطيع أن تسأل والدك عن أقارب « أم السعد »؟

هشام: مستحيل طبعاً! إن والدي في منتهى الثورة، ولن أسأله أي سؤال؟

جاسر: وماذا عن والدتك؟

هشام: ربما أمكنني أن أسألها؟

أدارت « هند » نظرة أخيرة بين الأوراق الملقاة أمامها.. والتقطت واحدة.. وقالت: نعم لم يعد هناك مجال للشك.. هذه شهادة ميلاد عنتر.. السيد. محيش.. وعمره الآن خمسة وثلاثون عاماً!

هند : قد تكون هذه الصورة وهذه الأوراق هي المفتاح الذي يوصلنا إلى الحقيقة!

هشام: سوف أسأل أمي فور عودتها.. لا بد أنها تعرف شيئاً عن ذلك.. إن دادة « أم السعد » تعيش معها منذ عشرين عاماً على الأقل!

جاسر: أرجو أن يفيدنا هذا الاكتشاف..

ولمعت نظرة تحدٍ في عيني « هند ».. كانت متأكدة الآن من أنها في أول الطريق..

° ° °

عندما التقى الأولاد مع « هشام » مرة أخرى في المساء.. لم يستطع أن يفيدهم بشيء.. فقد أكدت له أمه أن السيدة المسكينة لم يزرها أحد في حياتها عندهم، وأنهم لا يعرفون لها أقارب على الإطلاق.. وحتى قبل أن تأتي للعيش معهم، كانت تعيش كمربية لوالده في بيت جده منذ سنوات طويلة.. وبالتحديد منذ طفولة أبيه.. ولكن جده أو جدته لم يذكروا أبداً لأمه أن « أم السعد » لها أقارب.. بل على العكس قد أوصياها أن تعاملها معاملة طيبة، لأنه ليس لها في الدنيا إلا عائلتهم..

ثم أخبرهم بخبر حزين.. أن المحامي لم يستطع أن يفرج عنها لتبقى عندهم حتى يحين موعد محاكمتها، وأن أباه في شدة الغضب، وقد قرر أن يقوم بمحاولة أخرى في الأيام القادمة..

قالت « هند » هامسة: إذن فلن يبقى أمامنا إلا مقابلة « أم السعد »!

وصرخ « جاسر »: أين.. في السجن؟!

قالت « هند » بتحدٍ: نعم! في السجن!

سألها « ياسر » ساخراً: ومن سيسمح لنا بزيارتها؟!

نظرت إليه بغضب شديد وقالت: هذه المسألة تخصني وحدي.. وسوف أذهب إليها!

ساد الصمت.. فلم يكن هناك فائدة من الجدل مع « هند ».. فهي تصر على رأيها بكل قوة..

فأخذ « جاسر » يغير الحديث واتجه به إلى أمور عامة.. حتى انقضى الوقت.. وحان موعد النوم.. حيوا صديقهم وجارهم العزيز.. واتجه كل إلى حجرته.. ولكن « هند » بقيت مستيقظة، وظلت في فراشها.. تنتظر..

ولم يطل انتظارها كثيراً، فقد سمعت صوت عمها « عماد » وهو يصعد السلم في طريقه إلى فراشه.. نظر إليها مندهشاً وهو يراها ما زالت مستيقظة.. وشعر بالقلق وهو يرى الدموع في عينيها..

ولكنها أسرعت تطمئنه، وقصت عليه القصة كاملة.. وطلبت منه أن يستخرج لها تصريحاً لزيارة « أم السعد » في سجنها..

شعر المقدم « عماد » بهذه الأزمة النفسية التي تشعر بها المغامرة الصغيرة.. فربت على كتفيها مطمئناً.. وطلب منها أن تذهب إلى النوم.. ووعدها بأن يصطحبها معه إلى مكتبه في الصباح وهناك سوف يستدعي « أم السعد » لمقابلتها..

وهي سعيدة كل السعادة.. أسرعت « هند » إلى النوم.. واستغرقت فيه في الحال..

• • •

اجتمع المغامرون الثلاثة مع عمهم المفتش « عماد » على مائدة الإفطار في الصباح التالي، وكانت « هند » قد استعدت.. وارتدت ثياب الخروج، وعلى وجهها علامات البهجة، والانتصار.. وأسرعت تصطحب عمها في خروجه، ولوحت بيدها تحية لشقيقيها اللذين جلسا ينظران إليها في إعجاب..

وقطع عمها الطريق إلى مكتبه في سيارته الخاصة، و « هند » تجلس بجواره في كبرياء وتنظر إليه بإعزاز، فها هو ذا يحقق لها أمنية، لم يتصور أحد أنها سوف تنجح فيها!

وعندما دخلت إلى مكتب عمها.. وجدته يتجه إلى حجرة صغيرة بجواره، يفتح بابها، ويدعوها للدخول إليها، وطلب منها الانتظار حتى يحضر لها « أم السعد ».. ونظر إليها في صمت مدة لحظات قليلة ثم قال: أرجو أن تكوني هادئة.. ولا داعي للشعور بأية صدمة من لقائها، ومهما حدث!

شعرت « هند » بقلق لهذا الحديث، ولكنها طمأنته على أنها ستكون هادئة تماما، فانصرف ليأمر باستدعاء المتهمة لمقابلتها!

ولم تمض سوى دقائق قليلة، حتى سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، ثم فتح أحد جنود الشرطة باب الحجرة، وترك « أم السعد » تدخل بهدوء، ثم أغلق الباب تاركاً إياها تواجه « هند » التي وقفت قلقة في انتظار هذا اللقاء..

فوجئت الدادة بهذه الزيارة.. نظرت إلى « هند » نظرة غريبة، كانت مليئة بالكبرياء والحزن والغضب، ثم أشاحت عنها بوجهها..

قالت « هند » برقة: دادة « أم السعد ».. أنا آسفة على ما حدث، وصدقيني، أنني مؤمنة تماماً بأنك بريئة.. وشريفة.. ولم ترتكبي أية جريمة!

نظرت إليها المرأة ولم ترد..

هند : إنني هنا لأحاول أن أساعدك.. فهل يمكن أن تجيبي عن بعض الأسئلة البسيطة؟!

أم السعد: لقد تحدثت إلى الشرطة بكل ما أعرف.. ولكنهم لا يصدقونني!

هند : ألا تعرفين كيف وصلت قطعة المجوهرات إلى حجرتك.. من يزورك من أقاربك أو معارفك؟!

أجابت على الفور، وبحدة: أنا لا أقابل أحداً، لا أزور أحداً، ولا أحد يزورني.. ولا أعرف كيف وصلت المجوهرات إلى حجرتي!!

هند : إذن! فمن هو عنتر السيد محيش؟!

وانتفضت المرأة بشدة وقالت: ماذا تقولين.. إنني لا أعرف أحداً بهذا الاسم!

هند : هذا شيء غريب، ولكن صورته وشهادة ميلاده كانت في حجرتك.. واسمه يؤكد أنه ابن شقيقك!

انخفض صوتها قليلاً وهي تقول: كان.. كان ابن أخي.. ثم مات.. لقد مات شقيقي ثم ابنه منذ زمن بعيد.. ولم يعد لي أحد.. لا شقيق ولا قريب..

وفجأة ارتفع صوتها وقالت بحدة: إنني لا أعرفه.. ولم أره في حياتي، وقد مات منذ مدة طويلة، لماذا تنبشون الماضي..

أنتم أيها الصغار.. لقد أفسدتم كل ما بنيته في عمري كله.. ألا يكفيكم أنكم وضعتموني في السجن.. ماذا تريدون مني الآن.. أخرجوا من حياتي.. أخرجوا من حياتي..

وارتفع صوتها حتى أن الجندي فتح الباب متسائلاً عما حدث.. فقالت المرأة بصوت باكٍ:

— أرجوك .. أعدني إلى السجن.. خذني من هنا، لا أريد البقاء مع هذه الفتاة..

استأذن الجندي من « هند » في ذوق شديد، ثم سحب المرأة.. ومضى.. وشعرت « هند » بأنها على وشك الانهيار.. فها هي ذي السيدة المسكينة تحملها مسؤولية ما حدث لها.. ولكنها تذكرت وعدها لعمها بأنها سوف تتمالك نفسها.. فتماسكت بعد مجهود شاق.. وانتقلت إلى حجرة مكتب عمها، الذي كان مشغولاً بعمل كثير.. فأشار لها لتنتظر قليلاً، ثم استدعى سائقه الخاص وطلب منه أو يوصلها إلى بيتها!

وبينما كانت السيارة تقطع الطريق.. كانت « هند » تنظر حولها في بؤس شديد.. ها هي ذي تلقي بمسؤولية ما حدث لها على عاتقها.. هي السبب في أن تلقي هذه المرأة في أخريات عمرها بين المجرمين في السجون.. وأن تحرم من حريتها.. ومن حياتها الطيبة